قواعد البحث العلمي

الدكتور عقيل حسين عقيل

قواعدُ البحث العلمي

وصُنع المستقبل

تأليف

أ د. عقيل حسين عقيل

القاهرة 2022م

جدول المحتويات

المقدِّمة 4

البحث العلمي 6

قواعد البحث العلمي 24

قاعدة (الإنسان قوّة): 24

قاعدة الممكن: 25

قاعدة التواصل الاجتماعي: 27

قاعدة الكلمة الحُجَّة 28

قاعدة الاستيعاب: 31

قاعدة الترابط: 33

قاعدة المقارنة: 35

قاعدة الثَّابت والمهتز: 41

قاعدة الظَّاهر والكامن: 42

قاعدة تصحيحُ المعلومةِ: 44

إنجاز الأهداف: 46

تحقّق الأغراض: 53

تجاوز الدّونيَّة: 60

بلوغ الغايات: 64

نيل المأمول: 71

صُنع المستقبل أمل: 91
المستقبل تطلّعًا: 105
تدعيم قيم التطلّع: 106
صُنعُ المستقبل ارتقاء: 111
صُنع المستقبل العمل ارتقاء: 120
صُنع المستقبل تحدّي صعاب: 127
تجاوز الصّعاب بين ثابتٍ ومهتزٍّ: 131
تذليل الصِّعاب يُمهّد لعمليَّة التطلّع: 134
الشّك يُحدِث النُّقلة: 152
صُنع المستقبل كشف المجهول: 157
صُنع المستقبل معرفة: 170
صُنع المستقبل إرادة: 172
صُنع المستقبل مقدرة: 173
المؤلّفات........................ 177
المؤلّف في سطور 194

المقدِّمة

بطبيعة الحال لا علم ولا بحث علمي إلَّا مقنَّنًا، ولا تقنين إلَّا على قواعد تُمكِّن من المعرفة الواعية والمقصودة، ولا علم ولا بحث علمي إلَّا من أجل بلوغ مستقبلٍ مأمولٍ، به تتحقّق الرّفعة والنّهضة، اللتانِ لا يمكن أن يتحققا من دون علم وبحث علمي.

ومن هنا فالشُّعوب التي نهضت هي الشّعوب التي أخذت بأسباب العلم، والشّعوب التي تود أن تنافسها نهضةً وتقدّمًا تسعى منافسة لها بالبحث العلمي، واستثمار الإمكانات المتاحة، والعمل على توليد المزيد من الإمكانات الدَّاعمة لخوض المنافسات بنجاح.

ولا إمكانيّة للمنافسة إلَّا بالإنسان القادر على التحدّي علمًا ومعرفةً، ومهارة، وخبرة، أي: ما لم يكن وعي الإنسان متوّجًا بمعرفةِ أهمِيَّة المنافسة للفرد والجماعة والمجتمع، لا يمكن له أن يكون مشاركًا فعَّالًا في عمليّة إحداث المنافسة الممكِّنة من النّهوض والتقدّم.

ولأنَّ قواعد البحث العلمي منطلق لأيِّ علمٍ، فلا إمكانيَّة لخوض المنافسة علميًّا إلَّا بعد دراية بتلك القواعد البحثيَّة، والتي من بينها قاعدة الممكن التي لا يمكن أن يدخلها المعجز ولا المستحيل؛ فالمعجز والمستحيل لا يكونان إلَّا بيد الله، مع أن المعجز قد مكّن الله منه الأنبياء والرُّسُل عليهم الصَّلاة والسَّلام، ولكن المستحيل لا أحد يُمكّن منه؛ إنَّه بيد الله تعالى.

وعليه: بما أنَّ الممكن ليس بمعجزٍ ولا بمستحيلٍ، فلِمَ لا نبحث في دائرة الممكن دون توقّف ولا خوف، وبخاصّة أنّنا نعرف أنَّ كثيرين بلغوا الخوارق وهم في دائرة الممكن؟

وعلينا أنْ نعلم أنَّ المعلومات الخاطئة لا تُصحَّح إلَّا بالمعلومات الصَّائبة؛ ومن ثمَّ وجب علينا أنْ نصحِّح معلوماتنا التي تقول: لا إمكانيَّة للتحدّي، بمعلومة كلّ شيء ممكنٌ ما لم يكن: مستحيلًا أو معجزًا.

ولأنَّ كلّ شيء ممكنٌ، فصناعة المستقبل التي صُنعت من الغير، دليلُ إثبات لمن شاء أن يصنع له مستقبلًا ناهضًا، فليصنعه، ولكن شريطة أن يأخذ بخطوات البحث العلمي وقواعده البحثيَّة، ووسائله المقنَّنة.

ولأنَّ العلم لا يحتكر من أحدٍ، فلِمَ لا يكون الاتصال بأهل العلم والتواصل معهم إفادة ومنفعة؛ لتسهيل توطين العلم والمعارف العلميّة في أوطان الشُّعوب التي تأمل النُّهوض والأخذ بالأسباب؟

أ د. عقيل حسين عقيل

القاهرة

2022م

البحث العلمي

البحث العلمي جهود تبذل من أجل بلوغ مستقبل مأمول علمًا ومعرفةً وأمنًا وارتقاءً حضاريًّا يُمكِّن الإنسان من إشباع حاجاته المتطورة والمتنوّعة، ويجعل له قيمة مقدّرة سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وإنسانيًّا.

وللبحث العلمي مجموعة من القواعد مع منهجٍ يُمكّن من نَظمِ المعلومات وتحليلها وتشخيص حالاتها مع مراعاة كل خصوصيّة؛ ولذا يعد المنهج العلمي تأطيرًا للفكرة وفقًا لمعايير ومقاييس تضع المنهج موضع التقييم والاختبار من خلال النتائج المتوصَّل إليها، ومن ثمَّ فالمنهج ليس الطريقة كما يظن البعض أو يرى؛ ذلك لأنَّ المنهج نظري، أمَّا الطريقة فإجراءٌ عملي: (خطوات تتبع، ولا تصدر أحكامها إلَّا عن مشاهدة تخضع المبحوث إلى المثول أمام الباحث، مع إحصاء المتنوّع والمتراكم وفقًا للمتغيّرات البحثيَّة).

ولهذا فللمنهج مجموعة من القواعد العلميَّة والمنطقيَّة بها يتمكّن الباحث من تفكيك المعلومات وتركيبها وربطها بموضوعيَّة، وبه تُنسجُ الأفكار وتُعرض التصورات المجسدة لها في السُّلوك والفعل.

ويتم استنباط المنهج من المقروء والمسموع دون أن ينفصل عنه، فالمنهج هو: مجموع الأفكار التي بها يتم تعلم الكيفيَّة التي عليها الأمر أو التي سيؤول الأمر إليها بحثًا وعلمًا وقانونًا، وبالمنهج يتمكّن من معرفة الآتي:

.كيف نتعلَّم؟

.كيف نبحث؟

.كيف نصوغ لِما نبحث فروضًا؟

.كيف نصوغ لما نبحث تساؤلاتٍ؟

.كيف نسأل، وكيف نتساءل؟

.كيف نُفكِّر ونتدبَّر؟

.كيف نَنظم أفكارنا موضوعيّا، وكيف نَنظمها بالمعلومات تجاه إنجاز الأهداف وبلوغ الغايات؟

.كيف نتابع قضيَّة علميَّة ونتمكن من تفكيك عناصرها وكشف خفاياها؟

.كيف نركِّب ما تم تفكيكه على قواعد قابلة للقياس والتقييم والتقويم؟

.كيف نحلل المتغيّرات المحمولة في المعلومات البحثيَّة؟

.كيف نشخِّصُ الحالة قيد البحث وفقًا للمعلومات التي تم تحليلها؟

.كيف نتمكَّن من بلوغ النتائج بموضوعيَّة؟

.كيف نستنتج مما نكتب حلولًا ومعالجات؟

.كيف نفسِّر النتائج؟

.كيف نكتب التقرير؟

.كيف نعمل ونتحدَّى الصِّعاب؟

.كيف نتطوَّر ونُطوِّر؟

.كيف نُحدث النُّقلة؟

ولذا؛ فالمنهج بناء فكري على أسُسه تبنى النظريّات وتترابط وتُصاغ، وبه يتم إظهار المتغيّرات الصريحة والضمنيّة، وتُستكشف العلاقات بين المستقل منها والتابع والمتداخل، ومنه تُستمد الطُّرق التي تُنتهج من أجل تحقيق الأهداف العلميَّة.

إذن: المنهج تتبع فكري واعٍ به تتّزن المعلومة حتى تأخذ مكانها الذي يليق بها بين المعلومات السَّابقة لها والمعلومات اللاحقة عليها، وبه يتم استكشاف الاتجاه السَّالب والاتجاه الموجب، وإظهار الكيفيَّة التي يتم بها الإصلاح بفعاليَّة[1].

وبالمنهج تتَّضح الرُّؤية، عمّا هو كائن وعمّا يجب أن يكون، مع تقديم بدائل وفقًا لكل أوْلويَّة، ولكل تداخل وتتابع في الفكرة والكلمة والجملة والنص أو الخطاب.

المنهج لا يستقل عن النّص بأيِّ حال من الأحوال؛ ولهذا لا يمكن كتابة المنهج، فالمنهج لا يُكتب ولكن يكتب عنه، مثلما نفعل الآن نكتب عن المنهج لنُعرِّفَ به الآخرين مثلما عرفنا نحن مما قرأنا من غيرنا.

المنهج لا يمكن أن يستقل بذاته عن غيره نظريَّة أو نصًّا أو خطابًا؛ ولذا مع أنّ المنهج لا يُكتب، فإنَّه يُكتب عنه.

به تُستبين المسارات الفكريَّة والاتجاهات المحمولة فيه، إنَّه الكيفيَّة التي بها تتم صياغة الموضوع وكيفيّة تقديمه للقرّاء والمستمعين أو المتعلمين ورجال القانون؛

---

[1] عقيل حسين عقيل، البحث العلمي (المنهج والطريقة)، القاهرة: المصرية للنشر والتوزيع، 2019، ص 24.

حتى يتمكّنوا من استنباطه ومعرفته عن كثبٍ، وهكذا يتم إدراك المنهج استقراءً واستنباطًا بما يُكتب به وبما يُكتب عنه.

ويكون المنهج متينًا بقوّة ترابط أفكاره وبناء قواعده، ويكون ضعيفًا بتفكك أفكاره وبنيان قواعده، فالمنهج يمد المفكرين والباحثين بما يُمكِّنهم من استقراء الفكرة وما تدل عليه وما تحمله من متوقَّع وغير متوقَّع، سواء أكان سالبًا أم موجبًا، ويمدهم بكيفيّة التمسّك بما هو موجب والحياد عمّا هو سالب.

إنَّه ناظم المعلومة في الفكرة، وناظم الفكرة بالمعلومة، وناقلها بها إلى الطريقة المترجمة له في كل خطوة من خطواتها في الفعل والسُّلوك.

والمنهج هو الكيفيَّة التي يتم بها توليد الفكرة من الفكرة، وتوليد الحُجَّة من الحُجة، من أجل رؤية المستقبل والتطلّع له قبل وصوله، وهكذا يكون المنهج من أجل التطوُّر والتقدُّم إلى ما هو أفضل وأجود وأنفع[2].

وبما أنَّ بالمنهج تُفكك المعلومة وتُركَّب، إذن: هو الذي به يتم الانتقال من الكل إلى الجزء ومن بعده يتم الانتقال إلى المتجزئ، وبناء على هذه القاعدة كان جدل هيجل، وشكّ ديكارت من أجل معرفة الحقيقة الكامنة في الكلِّ، والحقيقة الكامنة في الجزء، والحقيقة الكامنة في المتجزئ، وعليه أصبح البحَّاث القانونيون يمتدّون في تقصيهم المعرفي من كلٍّ إلى جزءٍ إلى متجزئ منه، وحسب خصوصيَّة كل موضوع، وكذلك منهم من يمتد في بحثه بداية من المتجزئ إلى الجزءِ ومن ثم إلى الكلِّ.

[2] المصدر السابق، ص 26.

المناهج كما سبق أن بيَّنا هي التي تُعلِّمنا كيف نفكّر، وكيف نتعلم، وكيف نشاهد ونتابع عن وعي، وكيف نُلاحِظ ونستقراء الفعل وردود الفعل، وكيف نربط علاقة بين متغيّرين أو أكثر، أو كيف نكشفها للآخرين وندافع عنها ونترافع.

والمنهج لم يعد كما يظن البعض قالبًا ثابتًا لصهر الأفكار مثل القوالب التي تُصهر فيها المعادن تحت درجات حرارة عالية، بل أصبح المنهج قواعد معيارية يُمكن أن تقاس به الأقوال والأفعال والسُّلوكيات، وتحدّد على ضوئه الاتجاهات وتستقرأ نتائجها المستقبليَّة مما يجعل البحَّاث يرسمون لها الخطط في دائرة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع)؛ ولهذا فالمناهج التي تنتظر أن يصاب المجتمع بالمشاكل والأمراض لكي تجد مواضيع لتبحث فيها، هذه المناهج اجترارية، فهي كمن يَلُكُّ العِلكة أكثر من مرة، فهي لا تُمكِّن الباحث من توليد الفكرة من الفكرة، والمعلومة من المعلومة، والأحدث من الحديث، والأجد من الجديد، والأنفع من النافع؛ فالمناهج التي تُمكّن من كل هذا هي التي تجعل المجتمع بأسره في حالة حركة متجددة، وفي حالة تسابق ومنافسة وتطلّع من أجل بلوغ أمانيه وغاياته بكل شفافيَّة مع أخذ الحيطة والحذر من كل انتكاسة.

ولأنَّ البحوث تختلف باختلاف مواضيعها، ودرجة اهتمام الباحثين أو المجتمع بها؛ فهي تتطلَّب مناهج علميَّة مرنة تُمكِّن الباحثين من الوصول إلى أهدافهم العلميَّة بأقصر الطرق، وأقل التكاليف، وتقدم الموضوع بخطوات يمكن مراجعتها والتأكد منها، ومع ذلك لم تكن المناهج قوالب جاهزة كما يعتقد البعض، بل إنَّها ذات الأساليب المتنوِّعة والمتعدّدة؛ ولهذا لا داعي إلى فرضها على الآخرين نتيجة خصوصيَّاتهم وخصوصيَّات مواضيعهم، التي تتطلَّب أساليب

مرنة تراعي خصوصيَّاتهم الثقافيَّة والتعليميَّة والدّينيَّة والعرفيَّة في أثناء تجميع المعلومات، وتحليلها، وتشخيص حالتهم، واستخلاص النتائج منها.

المنهج العلمي والموضوعي هو المنهج المفتوح غير المقفل؛ فالمناهج المقفلة مناهج استهلاكيّة غير منتجة، تتقيد بالتكرار الذي لا يفتح آفاق التعلّم واكتساب الخبرة أمام منتهجيه، أمَّا عندما تكون المناهج مفتوحة ومتقنة فإنَّها تكون مناهج استيعابيَّة، تستوعب تطلّعات الباحثين وشطحاتهم، مما يجعل بحوثهم إبداعيّة، أو التي منها يأتي الجديد.

وكما أنَّ لكل فرد منهج خاصّ به في حياته العادية يسير عليه سلوكًا وأسلوبًا في تعامله مع الآخرين، ويتميّز به عنهم، كذلك الباحث ينبغي أن يكون له منهجٌ يصطبغ بخصوصيَّة موضوعه، وعليه ينبغي أن يهتم الباحث بالمنهج الذي يستوعب شطحاته التي منها قد يأتي الإبداع، وكثيرًا ما يوصف إبداع المبدع في البداية بأنَّه شطحات، ويكون في النهاية إضافة علميَّة جديدة، مما يبطل آراء البعض المنادين بالتقيد ببعض الاتجاهات المنهجيَّة التي لا تنتج إلّا التكرار.

المنهج مع أنَّه يَنْظِمُ المعلومات تحليلًا وتعليلًا فإنَّه قد لا يكون فعَّالًا، أي: يمكن أن يتبع الباحث خطوات البحث العلمي بكل دقة، ولكنَّه قد يكون مقفلًا على تعاليم سابقة وغير قادرٍ على الخروج عنها بما يُمكّنِه من أن يكون مبدعًا.

إنَّ اقتصار التفكير العلمي على ما تسمح به اللوائح والقوانين الوضعيَّة، هو تفكير استهلاكي لا يحقّق الإبداع، ولا يرتقي بالمبدعين، فالذي يرتقي

بالمبدعين هو ألَّا يُحدَّ من تفكيرهم بسقفٍ يقفون عنده أو دونه؛ لتكون آفاق الخيال العلمي مفتوحة أمامهم، وهكذا من الواقع والخيال والحدس يصل العقل المبدع إلى الجديد المفيد.

المنهج العلمي يرتبط بالموضوع، ولا يحيد عنه؛ ولذا فالموضوع هو الذي يحدّد المنهج المناسب للبحث فيه أو لدراسته؛ ولهذا لا يمكن أن يكون المنهج سابقًا على الموضوع، فلولا الموضوع ما كان المنهج، ولولا المنهج ما سُبرت أغوار الموضوع وكُشفت أسراره؛ ولهذا نقول:

(لكلِّ موضوع منهج خاصٌّ به؛ فلا داعي لتسويق المناهج الجاهزة التي تُسهم في خلق التُّبع، ولا تُسهم في خلق المبدعين).

وعليه:

بالمنهج نستطيع أخذ العبر من الماضي، ونستوعب الحاضر الجميل من أجل المستقبل الأكثر أهميَّة، ولكيلا تكون المناهج تكرارًا مملًّا نتيجة اقتصارها على الجاهز فقط ينبغي لها أن تكون مناهج تطلّعيَّة تفتح آفاق الإبداع أمام البحَّاث في جميع مجالات العلوم وميادينها الواسعة؛ وذلك باستيعابها تطّلعات المجتمع وأمانيه المرجوة[3].

ولذا فالمنهج هو الفن العلمي في تحديد المواضيع وسبر أغوارها عللًا وأسبابًا وتحليلًا وتشخيصًا ونتيجة أو استنتاجًا، ويتضح الفن المنهجي لدى الباحث عندما يتمكّن من ضبط قدراته العقليَّة مع الموضوع قيد البحث أو الدراسة؛ لأن المناهج هي المفاتيح التي تدخل الباحث إلى الموضوع للتعرُّف على

[3] المصدر السابق، ص 34.

أسراره وخفاياه. وبذلك المنهج هو الذي يُمكِّن من اكتشاف الأثر سواء أكان أثرًا ماديًّا أم فكريًّا.

إنَّ المناهج التي تنتظر أن يصاب المجتمع بالمشاكل والأمراض لكي تجد مواضيع للبحث والدراسة مناهج عقيمة وقوالب جاهزة لا طعم ولا رائحة ولا لون لها، فالأهم أن تكون مناهجَ تطلّعيَّة؛ لكي تكون سباقة لتحقيق أماني المجتمع وواقية له من التخلّف والمرض ومندفعة به إلى التقدُّم والرّقي؛ وأخذه الحيطة والحذر من أن ينتكس إذا ما تم علاجه من مرض قد سبق له وأن وشفي منه.

ومن ثمَّ لا ينبغي أن تقف المناهج عند الذي كان، أو عند ما هو كائن، بل يجب أن تتطلَّع إلى ما هو ممكنٌ (متوقَّع وغير متوقَّع) من أجل المستقبل الأفضل.

المنهج العلمي هو الذي يُمكِّن من إحداث النُّقلة التي بها يُصنع المستقبل؛ ولهذا ينبغي للباحث ألا يستهين بالزَّمان، ولكيلا يستهين بالزَّمان عليه أن يُعطي قيمة له، وإن لم يفعل ذلك يجد نفسه قد أسهم في ضياعه وضياع مستقبله ومستقبل أبنائه من بعده.

وقد يتساءل البعض:

. إذا كان للزّمن قيمة؛ فما هي قيمته؟

. هل لأنَّه ضرورة بالقوَّة في ماضيه، وحاضره، ومستقبله؟

. وهل هذه الضرورة نخافها؟

. وهل نخاف الزَّمن بكامله؟

نعم إنه ضرورة بالقوَّة، ونعم إنَّنا نخافه، وبخاصة المستقبل منه؛ لأنَّه غير معروف لنا بعد، ممَّا يُحفِّز الباحثين لأن يصوغوا له الفروض والتساؤلات العلميَّة بموضوعيَّة؛ ولذا فهم يبحثون دون توقف عند حدود الماضي منه والحاضر؛ وذلك لمعرفتهم بأن المستقبل سيأتي بالقوَّة شئنا أم أبينا.

ومن هنا يجب أن نتعلّم من أجل المستقبل الذي لم نعرف مضمونه، مع أنَّنا نعرف أنَّه سيأتي إن لم تقم السَّاعة؛ ولهذا فنحن الذين أسلمنا وجوهنا لله تعالى، نصلّي، ونصوم، ونحج، ونزكّي، ونجاهد يوم أن يأتي الجهاد فريضة، وكذلك نعمل، ونتزوج، ونُأمِّن على ممتلكاتنا، ونأكل ونشرب، ونتعلّم، ونبحث، ونفكّر ونتذكّر ونعتبر، كل ذلك من أجل المستقبل، ولم يكن من أجل الماضي والحاضر.

وقد يتساءل آخر:

. وما الحكمة من كلِّ ذلك؟

لأنَّنا نجهل المستقبل، ولا نثق فيه، كما لا نثق في الماضي والحاضر؛ لأنَّ الماضي تركنا دون أن يأسف علينا، ولا على الماضيين، وكذلك الحاضر مصرٌّ على ذلك بتنازله عنَّا ثانية بثانية، ولا يود الاستمرار معنا؛ ولهذا انعدمت الثّقة في الزّمنين (الماضي والحاضر)، مما يجعلنا لا نقصر تفكيرنا عيهما إلَّا لأخذ العبر والقدوة الحسنة؛ ولذا فنحن نفكر في غيرهما، ولا غير لهما إلَّا المستقبل مع أنَّه شقيقهما الذي قد يغدر بنا إذا لم نحتط من غدره، وعليه: لا ثقة في الزّمن على الإطلاق، الثّقة في العمل دون سواه؛ ولذا ينبغي أن نعمل دون تردّد، نبحث، نتعلّم، نتعرَّف، ونصحّح أخطاءنا أوَّلا بأوَّل، ونتطلّع إلى حياة المستقبل، ونعمل

على صناعته دون توقف؛ ولذا فمن يتوقّف قليلًا يتأخّر كثيرًا فلا داعي للتوقّف ولو لبرهة.

المناهج العلميَّة هي المناهج التحسينية التي لا تقف عند قبول الواقع فقط، بل تعمل على تحسينه إلى ما ينبغي أن يكون عليه؛ حتى لا تكون بمرور الزَّمن جامدة لا مرونة فيها، وتصبح هرمة كالعجوز لا حيوية لها، متكئة على عصا لا غاية من ورائها إلَّا إثبات عدم قدرة من يتكئ عليها، فهي لم تكن عصا موسى عليه الصَّلاة والسَّلام.

,للباحث العلمي أساليب فنية تربط المنهج بالطريقة البحثيَّة المتوافقة مع الموضوع قيد البحث والدراسة، مما يجعل للمنهج المتقصّي للحقائق عناصر التشويق التي تُحفِّز القراء على البحث، وتُمكِّنهم من التعرّف على أسراره وخفاياه وكنوزه الثمينة؛ ولهذا لم تكن المناهج قوالب ثابتة تستوجب التقيد بها كما يعتقد البعض، بل لها من الأساليب المتنوِّعة التي بها تتنوع البحوث وتتزين بموضوعيَّة.

وعليه: فإن المنهج هو العمليَّة الشاملة التي بها تحلل المعلومات والمعارف والقضايا والعلوم والأفكار، وهذه العمليَّة هي التي تُمكِّن طرق البحث من بلوغ النتائج؛ فالطريقة التجريبيَّة لن تنجز أهدافها إلَّا بكشف العلائق الدالة على حلقات الترابط بتحليل الظَّاهر والكامن أو الصريح والضمني، وهكذا الطريقة التَّاريخيَّة وطريقة المسح الاجتماعي لن تتما كطريقتين بحثيتين إلا بالمنهج التحليلي.

لذا؛ إنْ حُددَ المنهج من قبل الباحث لا بدَّ وأن تكون من ورائه فلسفة، وتتَّضح فلسفة المنهج بالإجابة عن السُّؤال: لماذا يختلف البحَّاث، أو يتفقون في التعرّف على الموضوع الواحد، وكيف[4]؟

بشكلٍ عام يختلف البحَّاث ويتفقون حسب المواضيع والفلسفات والأهداف المرجوة من كل باحث، وكذلك الأغراض والغايات التي من ورائها، والإطار المرجعي لكل منهم أيضًا.

أمَّا بشكل خاصّ فلكلٍّ شِرعة ومنهاجًا، أي: إنَّ المنهج هو المتغيّر الرّئيس في التباين بين الباحثين فمنهم من تُنْظم فرضياته وتساؤلاته وأفكاره على قواعد، ومنهم من يتخلى عنها أو عن بعض منها؛ ولهذا لا يستوون في علاقاتهم البحثيَّة مع الموضوعيَّة التي تسنها الأخلاق المهنيَّة والحرفيَّة والعلميَّة.

ومن ثمَّ تستمد فلسفة المنهج من فلسفة الموضوع؛ فيُصبغ المنهج بفلسفة الموضوع كما تُصبغ الأشياء بالألوان مما يجعل وحدة بينهما لدرجة تصعب علينا الفصل بينهما؛ فالورقة الخضراء من أيّة شجرة إذا غمرناها مثلًا في محلول كيميائي قد يتغيَّر لونها الأخضر إلى لون سماوي أو برتقالي، أو أيّ لون آخر طبيعي كما تحوَّل لون مايكل جاكسون من اللون الأسمر إلى اللون الأشقر فأصبح موضوعًا بلا منهج؛ لأنَّه فقد فلسفة وجوده باللون الأسمر الذي ارتضاه الله له، حتى وإن كانت له فلسفة من وراء تغيير لونه.

وإذا غمرنا قميصًا ورديًّا في محلول كيماوي فإنَّه سيفقد لونه الذي اصطبغ به، والذي ميّزه عن غيره من ألوان القمصان، وعندما تزال الألوان عن أوصولها

[4] المصدر السابق، ص 41.

تصبح كالمواضيع بلا منهج؛ لأنَّ المنهج هو الطابع المميز للموضوع أو وسيلة إبرازه علميًّا من خلال السُّبل الفنية التي تتبع من قبل الباحث في أثناء تجميع المعلومات والبيانات وانتظامها تحليلًا وتعليلًا واستنتاجًا وتفسيرًا؛ ولهذا إذا كان غير مؤسّس على المنهج فهو عبارة عن مشروع ارتجالي لم يُبنَ على قواعد موضوعيَّة يمكن الاحتكام بها والاحتكام إليها.

المنهج هو الذي به نتعلّم كيف نتعلَّم؛ ولذا فالمنهج الذي يعلّمنا كيف نتعلّم هو الذي يُمكِّن من المعرفة الواعية، والمناهج المخالفة لذلك هي المناهج الإعلاميّة الإبلاغيّة؛ ولذا فالفرق كبير بين المناهج التي تُعلِّمنا كيف نتعلَّم، والمناهج التي تُبلغنا أو تُعلِمُنا بما عَلِمت به، فالأولى: تُفسِح الطريق أو المجال أمامنا بما يظهر إبداعاتنا العلميَّة، والثانية: تُفسِح الطريق أمامنا بما يجعلنا نردد ما تم إعلامنا أو إبلاغنا به، ولا تُحفِّزنا على سواه.

المنهج العلمي هو الذي يُمكِّن الباحث من كشف العلاقات بين المتغيّرات والعلل والأسباب مع المقارنة لأجل التفصيل والتدقيق والتقصي الواعي بموضوعيَّة، مما يؤدّي إلى معرفة العلاقات بين الكل، والجزء، والمتجزئ، وأثر كل منها على الآخر وفقًا لمتغيّرات البحث المستقلة والتابعة والمتداخلة والدخيلة.

وعليه:

لكي تكون مناهج البحث العلمي مبدعة ينبغي أن تتحرر من طرقها وأساليبها التسليميَّة والسرديَّة التي لا تمكّن من استيعاب الخصوصيَّة الزَّمانيّة والمكانيَّة والظرفيّة والقانونيَّة.

إنَّ انتقادنا للمناهج التسليميَّة؛ لأنَّنا نريدها أن ترتقي إلى استيعاب المستقبل الأفضل الذي يأمله النَّاس، ويكفيها القصور عند الماضي أو الحاضر فقط، وهذا لا يعني أنَّها تنفصل عن ميز الماضي ومميزات الحاضر الجميل، بل يعني: أن تُستمد القوَّة منهما لبلوغ ما هو أقوى وأعظم وأهم؛ ولهذا التسليم بكل ما يُكتب، أو يُقال لا يعد ميزة، بل يُعدّ عيبًا إن لم يتم التفحُّص بعد شكٍّ بغرض اليقين؛ ولذا لا تسليم إلّا بمسلمات يدركها العقل الواعي وتثبتها التجارب الاجتماعيَّة، أو المعمليَّة المختبريَّة، ولا تسليم إلا لمطلق، ولا مطلق إلّا من عند الله عزَّ وجلَّ، وبما أنَّنا نعترّف أن البشر غير معصومين من الخطأ، فلماذا إذن: لا نشكّ في آرائهم إلى أن نتبين أنَّه الحقّ اليقين؟

وعندما ينتقل تفكير المعلم والمتعلِّم من الانتظار إلى الامتداد في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، أي: عندما لا يقف المعلم والمتعلّم عند حد المعلومات التي استقبلوها أو تعلموها، عندها لا تتوقّف قدراتهم واستعداداتهم عن الاستيعاب، بل تنطلق إلى طلب المزيد المفيد؛ لأنَّ التفكير العلمي تفحصي واستبياني استنتاجي، يربط العلاقات بين المتغيّرات، ويتوقّع معلومات أخرى قد تقع في أيّ لحظة من لحظات الزّمن، وفي أيّ مكان على الكرة الأرضيّة[5].

المناهج العلميَّة هي التي تبني الثّقة في المعلم والمتعلم، وتحررهما من التبعيَّة وهمومها التي تطمس شخصيّة كلّ منهما.

المناهج العلميَّة استفساريّة تساؤليّة؛ وذلك عندما تستفز القارئ والمتعلم علميًّا، وتحفزهما على الاطلاع والتساؤل، وتشوقهما إلى المعرفة الواعية التي لا

[5] المصدر السابق، ص 53.

تجعل من العلم طلاسم أمام البحث والنقاش والحوار والجدل بالتي هي أحسن؛ ولهذا لا يمكن أن يحس المعلم بالتعالي ولا يحس المتعلم بالغربة، وتنتهي النظرة التلقينيَّة التي تجعل المعلم طرفًا موجبًا، والمتعلّم طرفًا سالبًا، والمعلم مُرسل للمعلومات، والمتعلم مستقبل لها، ويصبح التعليم متحرّرًا من القيود، وفيه تتساوى كفتا الميزان بين المعلّم والمتعلّم؛ فمع أنَّ العمليَّة التعليميّة يقودها المعلّم فإنَّ المستهدف بالتعلّم هو المتعلّم مما يستوجب مشاركته وعدم تغييبه.

ولهذا يجب أن تبدأ المناهج مع المبحوثين والمتعلمين من حيث هم؛ لكي تندفع بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه، وذلك باستيعاب أحوالهم الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والدّينيَّة والثقافيَّة، بمعرفة المستويات التي هم عليها؛ لتكون البداية منها كواقع اجتماعي وإنساني، مع مراعاة الفرق في القدرات، والاستعدادات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات؛ ذلك لأنَّ البداية مع النَّاس أو المتعلمين من حيث هم تحليلًا وتشخيصًا يُمكِّنهم من استيعاب الرِّسالة الموجهة إليهم.

والمنهج يُعدّ هو الوعي بالموضوع من خلال الوعي بفلسفته والخطوات التي تُتبع من أجل اكتماله وتبيانه، فإذا سألنا سائلٌ:

أيّهما أسرع حركة الجسم الأثقل أم الجسم الأخف؟ فإذا أجبناه إجابة عابرة كما سألنا عابرًا نقول: الجسم الأخف أسرع حركة من الجسم الأثقل، ولكن هل نحن على وعيٍ عندما أجبنا بأنَّه الأخف؟ لكي نكون واعين بإجابتنا علينا أن نطرح الأسئلة الآتية، ونحاول الإجابة عنها.

. هل تتأثَّر حركة الأجسام بحجمها أم لا تتأثر؟ أي: هل تستوي سرعة جسم يزن 145 كيلو غرامًا مع سرعة جسم يزن 75 كيلو غرامًا في مضمار كرة القدم؟

. هل تتأثر حركة الأجسام بالمسافة أم لا تتأثر؟ أي: هل تكون سرعة الجسم واحدة إذا قطع في المرة الأولى مسافة 200 متر، وفي المرة الثانية 2000 متر؟

. هل الاتجاهات تؤثّر على حركة الأجسام؟ أي: هل الحركة إلى الأمام تساوي الحركة إلى الخلف؟

. وهل الحركة من أسفل إلى أعلى تساوي حركة الجسم وسرعته من أعلى إلى أسفل؟

. هل الزَّمن يؤثّر على حركة الأجسام؟

. هل الذي قضى من الزَّمن 80 عامًا يكون مساويًا لمن لم يقض إلَّا 25 عامًا في سرعة حركته؟

. هل اختلاف زمن السّباق للمتساوين في السّرعة لا يؤثّر في المسافة المستهدفة بالمرور؟

. ألا تتأثر حركة الأجسام بنوعيّة الأرضيّة التي يتحرك عليها؟ أي: هل الحركة على الأرض الرمليّة تساوي الحركة على الأرض الممهدة بالفلّين؟

. هل المناخ يؤثّر على الحركة؟

. أي: هل الحركة في اتجاه الريح تساوي الحركة التي في مواجهتها؟

. ألا يكون للحرارة تأثير على الحركة والمتحرك؟

. هل للثقل أثر على الحركة؟ أي: هل كلَّما زاد ثقل الجسم قلت سرعته الحركيّة؟

. ألا يكون شكل الجسم مؤثّرًا على حركته؟

. أي: أيهما يسقط أوّلًا كرة دائريّة الشّكل وتزن كيلو جرامًا، أم مظلة دائريّة الشّكل وتزن 3 كيلو جرامات؟[6]

كل الأسئلة السَّابقة تحمل إجاباتها في مضامينها؛ نتيجة منهج التوليد الذي يحدّد متغيّراتها والعلاقات المتكوِّنة بينهما وتأثيراتها الموجبة والسَّالبة، وعناصر الإثبات والنفي المحمولة فيها؛ ولذا فطريقة عرض هذه الأسئلة تعبر عن وجود منهج من ورائه حكمة؛ ويكون المنهج في هذه الحالة هو المجسدّ للسُّبل التي يتّبعها الباحث في تقصي المعلومات وتفكيكها من خلال تتبّع موضوعي من الكل إلى الجزء ثم إلى المتجزئ منه، مما يجعل المنهج هو المترجم للفروض والمنظم للبحث من ألفه إلى يائه.

ولهذا فالمنهج لم يكن قالبًا ثابتًا لصهر الأفكار تحت درجات حرارة عالية وكأنَّه فرن لإذابة الحديد أو الخامات المعدنية الأخرى الصّلبة، بل المنهج يكون قابلًا لاستيعاب الجديد ويسعى للكشف عنه.

إذن: المنهج لم يكن تكرارًا روتينيًّا كما يعتقد البعض الذين يحاولون قصره على دراسة الماضي بالتحليل والتفسير، أو البعض الآخر الذي يريد قصره على

---

[6] عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات جامعة الفاتح، دار ألجا، الطبعة الثانية، 1995، ص 48.

دراسة الحاضر المشاهد، بل هو الذي يربط الموضوع بالزَّمان والمتغيّرات التي تظهر من فترة لأخرى، ومن مكان لآخر وهو المستوعب للمستقبل والمتطلّع إلى آفاقه المرتقبة.

ومن ثمَّ بالمنهج يتم أخذ العبر من الماضي، واستيعاب الحاضر من أجل المستقبل الأنفع والأفيد، ولكي لا تكون المناهج تكرارات روتينية تُوَلِّدُ الملل عندما تقتصر على معرفة الجاهز فقط في الزَّمن الماضي أو الحاضر ينبغي أن تكون تطلّعيَّة؛ لكي تفتح آفاق الإبداع أمام العلوم باستيعابها تطلعات المجتمع وأمانيه وتتابع عن كثب مراحل نموّه وتطوّره، وتستوعب التغيرات الطَّارئة عليه، وكذلك ينبغي أن تستوعب شطحات الباحث العلميَّة من أجل أن تفتح الآفاق أمامه في معرفة الجديد واكتشافه من خلال خروجه عن الروتين والقولبة الفكريَّة والعقليَّة المميتة للتألق والإبداع وبلوغ الخوارق[7].

وعليه: فالمنهج العلمي هو الذي يُتبع في تقصي الحقائق وتبيانها، ويحتوي على عناصر التشويق التي تُحَفِّز القراء على البحث والتقصي الدقيق الواعي، وتُمَكِّنهم من التعرّف على أسراره وخفاياه؛ ولهذا لم تكن المناهج قوالب ثابتة تستوجب التقيد بها كما يعتقد البعض، بل تختلف بالضرورة من موضوع إلى آخر، ومن باحث إلى آخر، وحسب الظّرف الزّماني والمكاني والفلسفة التي دفعت الباحث إلى اختيار الموضوع والبحث فيه.

[7] المصدر السابق، 61،

ونتفق مع الفيلسوف ديكارت في قوله: "ليس غرضي ها هنا أن أعلم المنهج الذي ينبغي على كل امرئ اتباعه من أجل اقتياد عقله على النحو الصحيح، بل فقط أن أبيِّنَ الطريق الذي سلكته لإرشاد عقلي"[8].

والغرض من تقديم المنهج هو تبيان النقاط المهمة والأساسية في استيضاح المعلومات والبيانات؛ حتى لا يضيع جهد مَن يحاول البحث في التخطيط العشوائي الذي تجاوزه العلم الحديث؛ ولهذا تكون للمنهج قواعد علميَّة ينطلق منها البحَّاث ويعودون إليها عند الحاجة دون أن تُجرِّدَهم من خصوصيَّاتهم الذاتيَّة وأساليبهم الموضوعيَّة[9].

---

[8] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1984، ص 493.

[9] عقيل حسين عقيل، البحث العلمي (المنهج والطريقة)، القاهرة: المصرية للنشر والتوزيع، 2019، ص 22 – 45.

قاعدة (الإنسان قوّة):

الإنسان قوّة؛ كونه صانع القوّة بقوّة ملكاته العقليَّة التي تمكِّنه من الاستقراء والاستنباط، والملاحظة والمشاهدة، مع مقدرته على التذكُّر، والتدبُّر، والتفكُّر، ثمَّ مقدرته على توليد الفكرة من الفكرة، وبالتَّالي إذا ما نظرنا أو تفحَّصنا ما يدور من حولنا من قوَّة فلا نجد قوَّة تغالب قوّة الإنسان الذي خلقه الله تعالى على القوَّة.

وعليه: خُلق الإنسان على القوَّة تقويمًا وتصويبًا؛ فكان في حُسن تقويمه خير مخلوقاته وأقواها؛ ولأنَّه كذلك كان آدم أوَّل الخلق نبيًّا إلى الملائكة والجن والإنس، ومع أنَّ الإنسان خُلق مفضَّلًا في أحسن تقويم، فإنَّه على هذه القوَّة كلّها هو الضّعيف أمام قوّة الخالق تعالى، كما أنّه الضّعيف أمام الشّهوة؛ فعندما تغالبه الشّهوة يكون ضعيفًا؛ لأنّ الشّهوة هي الضّعف الذي خُلق الإنسان عليه، فإن سيطرت الشّهوة على عقل الإنسان وقلبه كان الإنسان على طبيعة خلق الشهوة ضعيفًا، ولكن إن هيمن العقل والقلب على الشّهوة فالإنسان لا يكون إلّا قويًّا، وهذه صفات لا تستمدّ إلّا من صفات الخالق، ولأنَّها تستمدّ من صفاته تعالى؛ فصفاته قوّة، وهي مصدر لكلّ قوّة.

ومن ثمّ؛ فالاستغراب أن يغترَّ الإنسان بنفسه، فلا يلتفت إلى ما يجب أن يَقدِم عليه قوّة، وما يجب أن ينتهي عنه قوّة، وهنا يكمن الضّعف؛ فالإنسان قوَّة هائلة تُحقق نجاحات إذا ما استثمرت استثمارًا أمثل، وكل ما نراه قويًّا هو ضعيف أمام قوَّة الإنسان العقليَّة، والحسية، والذوقيَّة، ومهما نُظر للإنسان بأنَّه

قوَّة فهو الضَّعيف أمام قوَّة خالقه؛ ومن ثمَّ فكل ممكن هو في دائرة النسبيّة؛ إذ لا مطلق إلَّا من عند الله تعالى.

فالإنسان بقوَّته يتفكّر، ويتذكّر، ويستقرأ، ويستنبط، ويخطط، ويقدم فينجز، ثم يُقوّم فيُصحح، أو يُطوّر، ومع ذلك فلا قوَّة للإنسان إلَّا الحجَّة؛ كونها علم يقين، أو المشاهدة والملاحظة؛ كونهما عين يقين، أو المعايشة؛ كونها حقُّ يقين[10].

ومع أنَّ الإنسان يعدُّ أقوى المخلوقات، فإنَّه لن يكون على القوّة إذا ما غالبته الشَّهور: {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}[11]، وهنا أقول: لدى الإنسان تتوازن قوَّة التحدّي التي بها يتمكّن من بلوغ الخوارق مع قوّة العاطفة التي تجعله تحت أقدام من يحب، ومن هنا فدائمًا لكل قاعدة استثناء.

قاعدة الممكن:

تتكوّن دائرة الممكن من المتغيّرين الرئيسين: (المتوقَّع وغير المتوقَّع) اللذين تؤسّس عليهما التساؤلات أو الفروض والقوانين الممكن إثبات صحتها أو بطلانها، وباستخدام الطرق الإحصائيَّة يمكن التمييز بين ما هو متوقَّع وما هو غير متوقَّع ومعرفة أثره الإحصائي.

---

10 عقيل حسين عقيل، قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دمشق: دار ابن كثير، 2010، ص 22.

11 النساء 28.

وباستخدام خماسي عقيل لتحليل القيم تتَّضح الاستخدامات المتعدّدة لما هو متوقَّع ولما هو غير متوقَّع في دائرة الممكن، بما يمكّن من التمييز الإحصائي الذي يتم به قبول الفرضيّة العدميّة أو رفضها[12].

والممكن: هو الذي (لا شك في حدوثه، أو ظهوره كلّما توافرت معطياته أو شروطه).

ولهذا لا يعد الممكن مستحيلًا، وبما أنّه غير مستحيل إذن بالضرورة سيقع وفقًا لما نتوقّع أو وفقًا لما لا نتوقّع.

وتتكون دائرة الممكن من: (المتوقَّع وغير المتوقَّع) التي تتساوى فيها فرص ظهور كل منهما وفقًا للفرض الصفري بنسبة ثابتة قدرها (50%).

والمتوقَّع: هو الذي: (بحدوثه أو ظهوره أو وجوده لا تحدث المفاجأة ولا الاستغراب).

ولهذا فالمتوقَّع معطيات حدوثه أو ظهوره متوافرة بين أيدي الباحثين، ما يجعل صحة إثباته (هو كما هو) وإذا ما وقع لا تحدث المفاجأة ولا الاستغراب، والمتوقَّع يمكن أن يكون سالبًا، ويمكن أن يكون موجبًا.

أمَّا غير المتوقَّع فهو الذي لا تتوافر معطيات أو شروط حدوثه أو ظهوره بين أيدي البحَّاث، ومع ذلك يقع ما يجعله في حالة تساوٍ نسبي مع المتوقَّع في دائرة الممكن؛ ولهذا إذا ما وقع تقع المفاجأة أو الاستغراب.

---

[12] عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004، ص 36.

ولذا يقع (غير المتوقَّع) أو يحدث دون قراءات أو حسابات سابقة، أو نتيجة قصور في القراءات والحسابات السَّابقة على وقوعه، ما يجعله يقع (كما هو) إثباتًا.

وعليه: ينبغي على الباحث العلمي التعرّف على غير المتوقَّع وعلى علله ومسبباته لاحقًا؛ ليتم التعرّف على نقاط الغفلة أو القصور التي لم تؤخذ في الحسبان المسبق[13].

قاعدة التواصل الاجتماعي:

التواصل قاعدة قيميَّة اجتماعيَّة وإنسانيَّة ذات حلقات مترابطة من الفضائل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، تُرسِّخ أفعال وسلوكيّات استيعابيَّة تجعل الإنسان في حالة تطلّع للآخرين في ضوء ما يفيد وينفع، وبما يُسهم في صناعة التَّاريخ، ويحافظ على الهويَّة، وبناءِ الحضارات بعمليَّات التواصل الاجتماعي، والاقتصادي، والسّياسي، والنّفسي، والذّوقي، والثَّقافي من ماضٍ بعيد إلى يومنا هذا مع التطلُّع إلى مستقبل أفضل؛ ولهذا كلّما زادت قيمة الطموح قوَّة بين الأجيال عبر التَّاريخ تتطوّر المجتمعات وتتقدّم.

ولأنَّ الإنسان كفرد يتربى في أسرة، ويتشرب القيم الاجتماعيَّة، والإنسانيَّة منها، ويمتد في علائقه مع محيطه البيئي؛ لذا ينطبع بمورثها الثّقافي، والحضاري، وتتشكل شخصيَّته التي بها يتميّز عن غيره من الأفراد الآخرين الذين ينتمون إلى مجتمعات، أو حضارات أخرى.

---

13 عقيل حسين عقيل، البحث العلمي (المنهج والطريقة)، القاهرة: المصرية للنشر والتوزيع، 2019، ص 49.

ولأنَّ التقدُّم البشري والإنساني لا يبنى إلَّا بجهود مشتركة من مختلف الشّعوب والأمم فإنَّ التواصل بين بني الإنسان بمختلف أعراقهم وأديانهم وثقافاتهم يثري حركة التغيّر والتقدُّم الاجتماعي والإنساني؛ وذلك استنادًا إلى القاعدة التي تنصّ على أنَّ الإنسان اجتماعي بطبعه، ومن ثمَّ يتواصل الأفراد والجماعات والمجتمعات قيميًّا مع بعضهم البعض في دائرة الأنا والآخر؛ إذ الضرورة والوجوب.

فالضرورة: من حيث الحاجة للرّعاية والعناية.

أمَّا الوجوب: فمن حيث الحاجة للإشباع المعرفي والثَّقافي[14].

قاعدة الكلمة الحُجَّة:

المعلومة الحُجَّة مرنة تميل إلى الآخرين وتستدعيهم إرادة بما تحمله تجاههم من تفهُّم لظروفهم وهمومهم وما يواجههم من صعاب، وإن لم تكن المعلومة بين النَّاس حُجَّة ومرونة فلن تستدعي أحدًا، وإن دعته الكلمات بغير ذلك أصبحت الكلمات مدعاة لزيادة اتخاذ المواقف حتى بلوغ التطرُّف موقفًا وسلوكًا، وقد يترتَّب على التطرّف أن تكون هناك دمويَّة بين الأنا والآخر، تهلك البشر والعلاقات الاجتماعيَّة، فإن لم يتمّ استيعاب الآخرين بالحُجَّة والمرونة يصبح التطرّف متعدّدًا، فيُكوِّنُ كتلتين أو أكثر.

ولذا فالاشتراطات في كثير من الأحيان تصدر فوقيّة لمن هم أسفل درجة على درجات السلَّم القيمي الهرمي؛ فهي إملاءات مانعة للاستيعاب ودافعة للتطرُّف، تطلب تنازلات ثم تطلب تقديم المزيد كلّما تمَّ قبول اشتراطٍ من

[14] المصدر السابق، ص 52.

اشتراطاتها، ما يخلق حالة من الجفاء لا يكون من بعدها إلا ما يقطع كلّ جذور الاتصال التي يمكن أن تتحقّق.

ففي دائرة الممكن لكلّ فعل ردَّة فعل تضاده في الاتجاه وقد لا تساويه في القوَّة، مما جعل التطرُّف قوّة تساوي أو لا تساوي الفعل الذي تمّ بلوغه بعد تهيّؤ واستعدادٍ وتأهُّبٍ واستخدام وسيلة مشروعة أو غير مشروعة[15].

فالمعلومة تُفكَّك بالمعلومة وتُركَّب بمعطياتها الفكريَّة وفقًا للمتغيّرات المكوِّنة لها؛ ولإنَّها معلومة فهي المركَّبة من النصِّ الحامل للفكرة التي توجّه العقل، وبها يوجَّه أو يصقل عقول آخرين، وهكذا تمتدُّ إلى النهاية التي عندها يتوقّف التطرّف أو تكون نهايته، وبما أنَّ الابتداء لا بدَّ له أنْ ينتهي سلبًا أم إيجابًا، فالتفاوض والتحاور والتجادل والتناقش معطيات لفكِّ الفتيل من الاشتعال؛ فلماذا يغضّ البعض النظر ويتأخر عن فك الفتيل!

ومن يصل إلى قبول الآخر بأهداف مؤقّتة دون أن يستوعبه هو كما هو؛ فليعلم أنّ نار الانتكاسات أشدّ وأعظم، وعندما تنتكس الأمور يصبح التطرُّف أكثر تنوّعًا وتفرُّعًا؛ مما يجعل العنف الدّموي بين الأقارب والأباعد اعتدالًا على كفتي الميزان.

ومع ذلك فالأقوياء لا يقنطون؛ فالحلّ في دائرة الممكن وإن تعسَّرت الأمور وعظمت ممكنٌ، ويمكن أيضًا أن يكون التوقُّف ذاتيًّا إذا اقتنع الأنا بما ترتَّب على أفعاله من ردود أفعال عندما يعرف أنَّه قد حاد عما لا يجب الحياد

---

[15] عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات جامعة الفاتح، دار ألجأ، الطبعة الثانية، 1995، ص 32.

عنه، وقد يكون ذلك أيضًا في مقابل اقتناع الآخر بأنَّه قد حاد عما لا ينبغي الحياد عنه، أو أنّ كلًّا منهما قد يئس وتعب فقدَّر جهده وإمكاناته في مقابل تقدير الآخر لذلك؛ مما يؤدّي بهما إلى البحث عن حلٍّ بوسطاء أو من دونهم.

ولذا فالمعلومات التي كان يُعتقد بأنَّها مسلّمات موثوق بها في زمنٍ من الأزمان قد لا تكون كذلك في زمنٍ آخر إذا ما تمّ إخضاعها لقاعدة: (تفكيك المعلومة بالمعلومة) وقاعدة: (تركيب المعلومة بالمعلومة)، مما يستدعي عدم التمسُّك بالأفكار والقضايا وجعلها مسلّمات مطلقة إن لم تكن من المطلق الأعظم.

ولأنَّ الحُجَّة فكريَّة عقليَّة فهي المؤثّرة عندما تكون بين أيدٍ تملؤها المرونة بمستهدفات تقدير الآخر واستيعابه، مما يجعل الفكرة في حالة امتداد من عقلٍ إلى عقلٍ، وفي مقابل ذلك تتعرَّض المعلومة للانكماش والرفض عندما لا تؤسّس حُجَّة بحجّة.

ولأنّ كلّ شيء يترتَّب على معطياته وسماته وأغراضه وغاياته ومستهدفاته؛ فإنَّ المعطيات تُسهم في تأسيس الحجَّة على الحجَّة، والمعلومة بالمعلومة حتى وإن رُفِضت بداية من الأنا أو من الآخر، فالحجَّة الحقّ قادرة على أن تبقى إلى أن تتمّ العودة إليها من جديد؛ لتكون المتغيّر الرئيس في تحقيق الإزاحة إلى ما يؤدّي إلى حلول ومعالجات وإصلاحات.

وعليه: ينبغي أن تَحلّ المعلومات الصَّائبة محلّ المعلومات الخاطئة، ثمّ تُدعم المعلومات الصّائبة بأخرى أكثر صوابًا؛ حتى يتمّ تثبيت القول السليم والفعل السليم والسُّلوك السليم بالحُجَّة التي يحتكم النَّاس بها ويحتكمون إليها[16].

قاعدة الاستيعاب:

الاستيعاب: فتح آفاق التقبّل والتفهّم أمام الجميع هم كما هم، وليس كما يجب أن يكونوا عليه؛ ولهذا يعد الاستيعاب احتوائيًّا لا استثناءات فيه ولا حرمان، كما أنَّه يعد حيّزًا نفسيًّا يسمح بقبول الآخر بما هو عليه من علل واختلاف مع تقدير ما يختلف به واحترامه، وهو منبع من منابع الأمل التي يأملها النَّاس؛ فالاستيعاب كونه قيمة حميدة لا يكون إلّا بقرار مسبق، به يتمّ قبول الغير، وتفهّم ظروفهم، وتقدير أحوالهم، وتقبّل ما يختلفون به، أو بما هم به يتميّزون.

فالاستيعاب قيمة احتوائيّة، تعتمد تقبّل المختلف والمخالف، وتعترف بوجودهما دون أن تتخذ أحدهما غاية في ذاته، بل دائمًا الغاية من ورائهما نيل المأمول الذي لا يُفرّق فيه بين أحد وآخر إلّا بحقّ يختلف به كلّ منهما عن الآخر.

فالاستيعاب يُمكِّن أصحابه من الإلمام بالموضوع، كما يمكّنهم من تشخيص الحالة، وبلوغ النتائج القابلة للتطبيق، والتفسير، دون أن يغفل عن الآتي:

---

[16] 16 عقيل حسين عقيل، قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دمشق: دار ابن كثير، 2010، ص 81.

. استيعاب الإيجابيّات، والتأكيد عليها، ونقلها للآخرين بوسائل مبسّطة تمكّنهم من التعرّف عليها، وتحفِّزهم على العمل بها.

. استيعاب السلبيّات، وتحديدها، وإبراز عللها، وأسبابها، والعمل على إزالتها، وتنقية الموضوع منها، وتبيان الأضرار التي قد تنجم عنها.

– استيعاب المختلف والمخالف واحتواؤهما دون انحياز، ولا عصبيّة؛ انطلاقًا من أنّ الفروق الفرديَّة بين النَّاس مكمّلة لبعضها البعض.

. استيعاب المختلف والمخالف، يمكّن من التفاهم، والتفهّم، ومن ثمّ يمكّن من تقويم الأحوال من أجل ما يجب.

. استيعاب المختلف والمخالف ينهي التأزّمات، والآلام، والأحقاد والمظالم، ويمكّن من تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة.

. استيعاب المختلف والمخالف يجعلهم في دائرة (نحن معًا).

. استيعاب المختلف والمخالف يمكّن من توليد القوَّة وجمعها وتسخيرها لما يفيد، وتوجيهها إليه.

ولهذا يجب أن يكون الاستيعاب بلا تردّد، والتقبل حتى النّهاية التي بها تُدرك الأمور، وتتحسّن الأحوال، وتُبلغ الحلول؛ ولكن عندما تُفقد أو تنعدم هذه القيم ومثيلاتها، يحدث التفرُّق والصّدام والصّراع، وتتجذّر العداوات بين النَّاس بأسباب التدافع عن غير حقّ[17].

[17] المصدر السابق، 57.

قاعدة الترابط:

مع أنَّ للترابط مفهومًا واضحًا فإنَّ ترابطه لا يكون إلّا نتاج أشياء متداخلة فيما بينها اتصالًا بنائيًّا كما هو تداخل مفهوم التماسك والتوافق ترابطًا.

والترابط: ظهور علاقة بين متغيّرين أو أكثر، يؤثّر كل منها في الآخر تأثيرًا موجبًا، أو سالبًا، كما ترتبط الحجّة بالحجَّة وتؤثّر فيها، سواء أكان الترابط والتأثير من حيث الفكرة، أم المفهوم، أم الدّلالة، أم المعنى، وهكذا تترابط الفِكَر في الموضوع الواحد حتى تظهر نصًّا متماسكًا.

والترابط كما يكون ظاهرًا في العلاقات الاجتماعيَّة والإنسانيَّة يكون ظاهرًا في منظومة القيم، والمثال على ذلك: ارتباط قيمة الإنسان بقيم الحريَّة، والعدالة، وممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وحمل المسئوليَّات؛ وهذا الترابط لا يكون إلَّا ناظمًا لحلقات منفصلة في سلسلة متَّصلة.

أمَّا التماسك فهو انتظام المتجزئ في الجزء المتكوّن منه، ثم انتظام الأجزاء في الكلّ المتكوِّنة منها، ما يجعل الشّيء وحدة واحدة متماسكة في شكلها البنائي كليًّا، ولا يكون التماسك إلّا بين الأشياء المتجاذبة؛ إذ وراء كلّ تماسك قوّة تظهره شكلًا، وصورة، ونهضة بنائيّة، وعلميَّة، وثقافيَّة، وبالتَّالي لا يكون الشيء شيئًا مترابطًا على القوَّة إلَّا بتماسكه.

ولو أخذنا الوثيقة التَّاريخيَّة مثالا للترابط فلا يمكن لنا أن نتجاهل الماضي الذي كتبت فيه، ولا يمكن لنا قراءتها وتحليلها بمنعزلٍ عمَّا يجب أن يكون في المستقبل عبرة واتعاظًا؛ ولهذا لا يمكن أن يكون التحليل مترابطًا إذا تجاهلنا الخط الذي كتبت به، واللغة التي اعتمدتها، وعلاقتها بالزَّمن، وعلاقتها بمن نسبت

إليه، ومن ثمَّ ينبغي أن يكون تفحّصها متسلسلًا متغيّرا بمتغيّر عبر الزَّمن والأحداث المتضمّنة فيها دون الغفلة عن اللغة التي كتبت بها، ومثال لذلك: عندما تُكتَب المخطوطة باللغة الفرنسية، وصاحبها الذي نُسبت إليه لم يكن يعرف التّحدث ولا الكتابة باللغة الفرنسية؛ فهذه حجّة تضع الوثيقة موضع الظنّ والشّكّ؛ وبالتالي تسقطها وتجعلها خارج دائرة الاهتمام، وهكذا تسقط أيُّ وثيقة إذا كان تاريخها على سبيل المثال: قبل الميلاد، وصاحبها الذي نسبت إليه مولود بعد التَّاريخ الميلادي.

إذن: لا يمكن أن يكون الترابط إلا بدليل وحجّة، سواء ترابط اجتماعي، أم اقتصادي، أم سياسي، أم نفسي، أم ذوقي، أم ثقافي؛ وذلك وفقًا للترابط الموضوعي ومجالات امتداده كما هو حال:

– الترابط الاجتماعي: الممتد بين الأفراد، والجماعات، والمجتمعات الإنسانيَّة.

– الترابط الاقتصادي: الممتد بين الثروة، والإنتاج، والاستهلاك، والملكيَّة.

– الترابط السياسي: الممتد بين حقوق تمارس، وواجبات تؤدّى، ومسئوليات تُحْمَل.

– الترابط النفسي: الممتد بين النفس، والقلب، والعقل، والضمير، والحواس.

– الترابط الذوقي: الممتد بين المشاعر، والأحاسيس، وملكات التمييز الرّفيع.

– الترابط الثقافي: الممتد بين الكلمة، والحجَّة، والنَّصِّ، والبرهان[18].

قاعدة المقارنة:

المقارنة وعي علمي ومعرفي وقانوني وليست بمنهجٍ، بها يتمّ التمييز بين المشاهد والملاحظ، وبين ما يجب، وما لا يجب؛ ومن هنا تعتمد المقارنة على تبيان نقاط الاختلاف أو الخلاف، ونقاط الاتفاق والتنوّع، وإبراز درجات النزوع إلى التمركز، أو درجات التشتت عنه.

وعليه:

. قارن قبل أن تقرر.

. ميِّز بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون.

. دقِّق فيما تشاهد.

. لاحظ ردود الأفعال.

. تذكّر القول، ولاحظ الفعل، ثم قارن.

. فكّر في المتوقَّع وغير المتوقَّع ثم ميّز.

. حدد نقاط التمركز، ونقاط التشتت ثم قرّر.

. انتبه للنصّ والوثيقة؛ حيث النسخ والتزوير يسري في كثيرٍ منها.

. استمع جيدًا لأقوال الشاهد؛ فهو بين صدقٍ وافتراءٍ.

. تجنّب الميل العاطفي؛ فهو مقبرة الحقيقة.

[18] المصدر السابق، 60.

ولذا فما يُمكِّن من التمييز يُمكِّن من المقارنة؛ وذلك لأنَّ التمييز يتضمّن حُكمًا يُدخل الشّخص المميّز في دائرة الموضوع حتى يجعله وكأنَّه جزءٌ منه، فالشّخص الذي يميّز بين الحقّ والباطل ويرتكب فعلًا من أفعال الباطل جعل نفسه جزءًا من الباطل، وفي المقابل من يميّز بينهما ويتخذ موقفًا حقًّا جعل نفسه جزءًا من الحقّ؛ ولذلك يحدث الصّدام والخصام والخلاف بين النَّاس (بين حقٍّ وباطلٍ)[19].

أمَّا المقارنة فتحتوي قرارًا لا يجعل الشّخص المقارن جزءًا من الموضوع قيد المقارنة؛ فالذي يقارن بين زرافة وزرافة، أو شجرة وشجرة، يقارن بين صفات وخصائص لا يمكن أن يكون جزءًا منها.

ومع ذلك فلا تمييز ولا مقارنة من دون سلامة المدركات العقليَّة والحسيّة، ومن ثمَّ هناك منطقة تداخل بين مفهوم التمييز والمقارنة؛ من حيث إنَّه لولا سلامة الحواس ما قارنَّا، ولولا المقارنة ما ميّزنا؛ ولذا فما يمكّن من التمييز يُمكّن من المقارنة؛ وعندما تجرى المقارنة بين المشاهد والمشاهد، يصبح التمييز بين الجيد والأجود.

وعليه قارن بين هذا وذاك:

- محبة الوالدين ومعصيتهما.
- الأمانة والخيانة.
- الصدق والكذب.

---

[19] عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات جامعة الفاتح، دار ألجا، الطبعة الثانية، 1995، ص 141.

. شهادة الحق وشهادة الزور.

. الحق والباطل.

. فعل الخير وفعل الشر.

. ممارسة الحقوق والحرمان منها.

. أداء الواجبات وعدم أدائها.

. حمْل المسؤوليات والتخلي عنها.

. الإرادة والإكراه.

. التعاون والانفراد.

. الاعتماد على النفس والاعتماد على الغير.

. العدل والظلم.

. الوفاء والنقيصة.

. الحلال والحرام.

. الحب والكره.

ولذلك إذا تمت المقارنة بوعي يتم التمكُّن من معرفة ما يجب والتمكُّن من فعله أو القيام به أو الامتناع عنه موضوعيا.

ولذا لكي يعرف الباحث الخاصيّة من الصفة، عليه أن يقوم بعملية المقارنة التي تُمكِّنه وتمكن الأفراد من الاختيار عن وعي وإرادة.

ولكي يتمكَّن كلٌ منهم من معرفة الخاصية والصفة عليهم ألا يغفلوا عن المقارنة بين ما هو دقيق وما هو أدق منه.

وعليه:

. قارن ما هو خفي بما هو أكثر اختفاء منه في دائرة الممكن.

. قارن الكبير بما هو أكبر منه في الحجم.

. قارن ما هو بليغ بما هو أبلغ منه في اللغة والقوة.

. قارن الحسن بما هو أحسن منه في الذوق.

. قارن الإيقاع بالإيقاع تكتشف النغمة الموزونة من النغمة المهتزة.

. قارن الإنسان بالإنسان (الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة).

. قارن الحيوان بالحيوان (الغزالة بالغزالة وليس الغزالة بالزرافة).

. قارن الطائر بالطائر، النبات بالنبات، الجماد بالجماد.

. قارن النوع بالنوع والجنس بالجنس.

. قارن الحركة بالحركة.

. قارن الشكل بالشكل.

. قارن الحجم بالحجم.

. قارن الممكن بالممكن.

. قارن الذوق بالذوق.

ـ قارن المهارة بالمهارة والخبرة بالخبرة.

وعليه: فإنَّ عملية المقارنة ليست منهجًا كما يظن البعض، بل هي قاعدة منطقيَّة وعلميَّة للانتباه الواعي قبل الإقدام على القول، أو الفعل، أو العمل، أو السلوك، ومن ثمّ فإذا قمت بهذه العملية عن وعي تستطيع أن تميَّز وتجيد الاختيار وفقا للخاصيَّة والصفة، وإذا غفلت عنها تقع في المحظور، وقد تندم في وقت لا ينفعك الندم؛ ومن ثمَّ قارن بلا تردد حتى لا تقع في الفخ.

ومن هنا يعتمد التحليل المقارن على المعلومات المتوافرة وفقًا لمعطيات ذات خصائص وصفات أو كميات، وتكون المقارنة بين المشاهَد والمشاهَد، وبين المجرد والمجرد، وبين المحسوس والمحسوس، مع مراعاة الظرف الزماني والمكاني والخصوصيَّة عند تحليل المعلومات والبيانات؛ ولذا يُقارن المبدأ بالمبدأ، والهدف بالهدف، والموضوع بالموضوع، والنوع بالنوع[20].

وتعتمد المقارنة على تبيان نقاط الاختلاف والاتفاق، بين النوع والنوع (بين الإنسان والحيوان والطير والنبات) وداخل كلٌّ منها (بين وردة وشوكة، وصقر وبومة).

ومن هنا يتضح الاتفاق والاختلاف بإبراز درجات النزوع إلى المركز والتشتت عنه، مع أنَّ كل نزوع يحتوي على تشتت، وكل تشتت يحتوي على نزوع، أي: إنَّ النزوع نحو النوع يحتوي على تشتت بينه، فإذا قارنَّا حلو المذاق بمرِّه، فهذا لا يعني بالضرورة أن يكون حلو المذاق خاليًا من المرارة، أو خاليًا من نسبة منها، وكذلك المرّ ليس بالضرورة أن يكون خاليًا من نسبة الحلو فيه؛ فحتى

[20] المصدر السابق، ص 95.

العسل حلو المذاق من بينه مرٌّ؛ ولذا فعند مقارنة المرّ بما هو أمرّ منه، يصبح المرّ السَّابق حلوًا بالنسبة إلى المرِّ اللاحق؛ وهكذا السَّالب والموجب، إذا قارنا درجة البرودة والحرارة بقياسات درجة تحمُّل الإنسان لها، نجد كلَّما انخفضت درجة الحرارة تحت الصّفر ازداد الطقس برودة، وكلّما ارتفعت درجة الحرارة فوق الصّفر أزداد الطقس حرارة، فإذا وصلت درجة الحرارة إلى 30 درجة مئوية تحت الصّفر، ووصلت بعد فترة إلى 50 درجة مئوية فوق الصّفر، تكون النتيجة واحدة بالنسبة إلى الإنسان، درجة الحرارة السَّالبة ودرجة الحرارة الموجبة سالبتان على حركة الإنسان ونشاطه الطبيعي، وما يبدو سالبًا للبعض قد يكون موجبًا للآخر، فإذا كانت درجات الحرارة المشار إليها سابقًا غير مقبولة بالنسبة إلى الإنسان فإنّها قد تكون مفضَّلة لنشاط وحركة كائنات أخرى، مما يجعل الدرجة السَّالبة عند الإنسان، قد تساوى موجبة عند غيره من بعض الكائنات الأخرى.

وحتى داخل النّوع الواحد تختلف المقاييس ودرجات الرضا؛ فإذا كانت الحياة موجبة عند البعض، قد تكون سالبة عند الآخر، فالذي يعاني من العذاب، والذي لا يجد من يهتم به رعاية وعناية، قد تكون الحياة بالنسبة إليه سالبة، والموت أرحم، ومن هنا فالموت بالنسبة إليه أصبح موجبًا.

وعليه: يتوحد السَّالب مع الموجب في الحياة ويتمركز السّلب مع الإيجاب ويتشتتان في الفرد الواحد؛ فعندما يتّحد الحبّ مع الكراهية يصبح الإنسان الذي يحب هو الإنسان الذي يكره في دائرة النسبية، ومن ثمَّ فلا مكان للمطلق في المقارنة، فما هو منطقي ومقبول أو مُفضَّل في مكان من الأماكن، وفى زمن من الأزمنة، قد لا يكون كذلك في أماكن وأزمنة أخرى؛ ولذلك عند التحليل المقارن ينبغي ألا يَغفل الباحث عن مقارنة المشاهد بالمشاهد، والمحسوس بالمحسوس،

والموضوع بالموضوع، والمبدأ بالمبدأ، والدور بالدور، والصفة بالصفة، والخاصيَّة بالخاصيَّة، والنوع بالنوع، والجنس بالجنس، والحجم بالحجم، والكم بالكم، والكيف بالكيف[21].

قاعدة الثَّابت والمهتز:

الثبات حيويّة الشيء حركة أو سكونًا، أمَّا الثَّابت فهو الشيء ذاته؛ ولهذا فالثابت يشاهد، أمّا الثبات فيلاحظ، فعلى سبيل المثال: إذا حدّدنا أنَّ الشيء هو اليد (الثابت) فاليد قابلة للمشاهدة العينيّة (البصريّة)، أو اللمس حسًّا، ولكن هل يستطيع أحدٌ رؤية حركة اليد؟

بالتأكيد حركة اليد لا تُرى، بل الذي يخضع للرّؤية هو الشيء المشاهد (اليد)، وإذا قال أحد نرى الحركة، فليرسم لنا الحركة، إنَّه لن يستطيع رسمها مع أنَّه يستطيع رسم المتحرّك (اليد) ووصفه؛ ولهذا فالثبات حيويّة الحركة والسّكون، أمَّا الثابت فهو المتحرّك أو السَّاكن.

وعليه:

في مقابل مفهوم الثَّابت يأتي مفهوم المهتز، وهو الذي لا يستقر ثباتًا، ولا سكونًا؛ قال تعالى: {وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}[22]، أي: تغيّرت الأرض من هامدة (لا حيويَّة) إلى رابية نباتًا[23].

---

[21] المصدر السابق، ص 177.

[22] الحج: 5.

[23] عقيل حسين عقيل، الخدمة الاجتماعيَّة قواعد ومبادئ قيمية، القاهرة: 2019، ص 149.

ومن ثمَّ ما يُعتقد أنَّه على الثبات حركة، قد يفاجئك سكونًا، وما يُعتقد أنَّه على حالة من السّكون، قد يفاجئك امتدادًا؛ لأنَّه لا ثبات إلَّا بقوَّة، ولا اهتزاز إلَّا بقوَّة.

ولهذا فالقوَّة قيمة قاعديّة للثبات والحركة؛ فمن يصمد ثبات قوّة، لا يقارن بمن يستسلم ثبات وهنٍ وضعفٍ، ووفقًا لدائرة الممكن فالثابت والمهتز كلاهما في حالة حركة، سواء كانت الحركة سالبة أم موجبة.

وإذا أخذنا القيم والمبادئ مثالًا للتوضيح لعرفنا أنَّ الثبات عليها ثبات أخلاقٍ، والحياد عنها حياد عن المفضل والمقدّر اجتماعيًّا وإنسانيًّا؛ ما يجعل للمصلحين والأخصائيين الاجتماعيين أدورًا متنوّعة، ومتعدّدة في سبيل المعالجة والإصلاح الاجتماعي.

ولذا استمدت المبادئ قوَّتها من الثبات، واستمدت ضعفها من الاهتزاز، ومع أنَّ كل شيء في حالة حركة، فإنَّ كلّ شيء قابل للتغيّر والتغيير، والحركة قد تكون مشمولة، وقد تكون محمولة؛ فهي مشمولة بحركة الكون كلّه، وهي محمولة في حركة المتحرك بذاته[24].

قاعدة الظَّاهر والكامن:

(الظَّاهر قابل للمشاهدة والملاحظة، والكامن من ورائه ساكنٌ)

أي: كلّ شيء خاضع للمشاهدة أو الملاحظة هو ظاهر، سواءٌ أكان قولًا، أم فعلًا، أم سلوكًا، أم عملًا وأثرًا، وكل ما خُفي عن ذلك في حيّز الوجود كامن؛ ولهذا فعندما تكون الفرحة ظاهرة على وجوهنا، يكون الحزن فينا كامنًا،

[24] المصدر السابق 179.

وعندما تتوافر اشتراطاته، أو معطياته يفور من حينه ليعلِن أنَّه قوَّة قادرة على مداهمة واختراق كلّ الحواجز التي سترته قبل الظهور.

ومن ثمَّ: فالحواس ممكِّنة من الإدراك العقلي لما هو ظاهر في دائرة الممكن، وما هو كامن فيها، ولكن دائمًا عندما يكون الظَّاهر في الصدارة متحرّكًا يكون الكامن من ورائه ساكنًا، وقد يتماثل الظَّاهر مع الكامن، وقد لا يتماثل، فعندما يكون القول كاذبًا بطبيعة الحال يكون مخالفا للحقيقة، وعندما يكون صادقًا يصبح مماثلًا لها، وهكذا في كل أمر، وعندما تُترجم الأقوال الظَّاهرة في سلوكيات وأفعال تمرّ شخصية الإنسان حسب مواقفها من الحقيقة بخمسة مستويات قيميَّة هي:

1 . الاتزان الانفعالي: لا سالب ولا موجب (ذاتية حيث التمركز على قيم المجتمع).

2 . الميل لأخذ المواقف السَّالبة: (الميل إلى ما لا يُرضي الآخرين؛ حيث الانسحاب من بعض القيم الاجتماعيَّة).

3 . بلوغ قمّة المواقف السَّالبة: (الشخصانيَّة؛ حيث ظهور السُّلوك الأناني، والتفكير في الأنا فقط).

4 . الميل لأخذ المواقف الموجبة: (التطلُّع للمرضي؛ حيث المنطق والحُجَّة).

5 . بلوغ قمّة المواقف الموجبة: (الموضوعيَّة؛ حيث العقل سيد الميدان مع الرُّقي في حُسن التصرف).

(الكامن يشغل حيّزًا، وهو قابل للظّهور، وغير متيسّر للمشاهدة).

مع أنَّ الكامن غير متيسّر للمشاهدة وعلى الرغم من أنَّه يشغل حيّزًا، فإنّه السَّابق على القول والفعل، فلو لم يكن الكامن ما كان الظَّاهر، أي: إنَّ الفكرة أوَّلا، وإظهارها والعمل بها ثانيًا، وهكذا تكون الهيئة أوَّلا والصورة ثانيًا.

ولهذا فالكمون هو الأصل، كما تكمن النّخلة في النواة، ويكمن الزّيت في ثمرة الزّيتون، وهنا يكون الظَّاهر نواة، والكامن نخلة أو زيتونةً؛ ومن ثمَّ فالكامن قابل للظّهور إذا توافرت اشتراطاته، وقابل للاستقراء والاستنباط كلّما لوحظت ردود أفعاله، وقابل للإثبات والمقارنة كلّما تلمّسنا الأثر وشاهدناه.

ويتداخل الظَّاهر مع الكامن في علائق قيميَّة مثلما يتداخل المتوقَّع وغير المتوقَّع في دائرة الممكن، ويسبق الكامن الظَّاهر كما يسبق الإيمان السُّلوك والفعل المترتب عليه، وكما تسبق الخيانة أو الرّدّة السُّلوك، أو الفعل الذي يرتكبه الخائن، أو المرتد[25].

قاعدة تصحيحُ المعلومةِ:

المعلومات الصّائبة شواهد موضوعيَّة صحيحة ترشد إلى المعرفة الواعية، وكشف الحقائق كما هي، ومعرفة المجهول عن وعي، وهي حُجّة تمكّن من المجادلة صوابًا، والتجادل بها لا يكون إلّا عن قناعة بالموضوع، أو القضيّة التي من وراء حُجّتها حُجج أعظم.

ومن ثمّ؛ فأصحاب الحُجج تطوّرًا يسعون إلى إحداث النُّقلة، والارتقاء بالنَّاس إلى ما يجعلهم قمّة، وفي المقابل من يخالفهم بغير حُجّة يشدّ إلى الخلف

[25] المصدر السابق، 152.

إعاقة، وبين هذا وذاك فلا استقرار، ولا أمن، ولا ارتقاء، ولا تطوّر لأحد ما لم يأخذْ بالحُجّة ارتقاءً واستيعابًا، ولا استثناء لأحد بأيّة علّة، إلّا إذا كان أحد علّة في ذاته، ولا استغراب؛ إذ لكلّ قاعدة شواذ، ومع ذلك الحجّة الجدباء لا تصمد أمام الحجّة الحلّ التي تعلو بأصحابها تطوّرًا وارتقاءً إلى ما يمكّن من المعرفة التي بها سَتُرتق الأرض والسّماوات كما كانت أوَّل مرّة.

ولإنَّها المحاجّة، وفيها من المجادلة ما فيها؛ فهي لا تكون إلّا بالتي هي أحسن: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[26]؛ أي: لا ينبغي أن تكون المجادلة بالتي هي أسوأ؛ فالأسوأ لا يقود إلّا للخلاف، والصّدام، والاقتتال؛ ومن ثمَّ يلد الألم ألما[27].

وحتى لا يسود الألم بين النَّاس ينبغي الأخذ بمبدأ المحاجّة، والمجادلة حرصًا وتطوّرًا وارتقًاء، ويجب أن تبدأ المحاجّة مع المختلفين من حيث هم عليه اختلافًا، لا من حيث ما يجب أن يكونوا عليه اتفاقًا؛ فما ينبغي أن يكونوا عليه اتفاقًا هو المأمول الذي من أجله تجرى الدراسات والبحوث العلميَّة، أمّا المجادلة غِلظة فهي خارج دائرة المنطق العلمي، وهي التي لا تكون إلّا مع من يستغلظ على الحقّ بغير حقّ، وهنا، يصبح المستثنى من جنس المستثنى منه (غلظة بغلظة) ومع ذلك فللعفو والصّفح مكانة لا يبلغها إلّا من تدبّر أمره حكمة.

ولأنّ الجدل بالتي هي أحسن وسيلة للارتقاء؛ فينبغي أن تكون أساليبه على الترغيب، والتشويق، والنّهي، والرّهبة، والتحذير، والإنذار مع مراعاة الفروق

[26] العنكبوت: 46.

[27] عقيل حسين عقيل، المعلومة الصائبة تصحح المعلومة الخاطئة، القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، 2018، ص 46.

الفرديَّة بين المتجادلين ارتقاءً؛ ففي الجدل الرّسائل تُرسل بين المتجادلين لكلٍّ حسب ما هو عليه من معرفةٍ، وثقافةٍ، ومعتقدٍ، ومنطقٍ، مع عدم إغفال أهميَّة الحكمة في إدارة الجدل؛ فالإنسان مع أنّه خُلق من نطفة، ولكنّه خصيم؛ ولهذا فهو مجادل، ولأنّه كذلك فمن حقّه أن يجادل، ولكن حرصًا وتطوّرًا وارتقاءً ينبغي أن يجادل بالتي هي أحسن؛ فهو كلّما جادل بالتي هي أحسن كسب قلوب النَّاس، وفي المقابل متى ما استغلظ عليهم استغلظت قلوبهم عليه[28].

إنجاز الأهداف:

الأهداف هي ذلك المرجو إنجازًا، سواء أكان الإنجاز بحثًا علميًّا أم عملًا أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا فالأهداف تحدّد بوضوح ودقة؛ لتكون مرشدة لمراميها.

فالأهداف هي التي تحدّد وفق الإمكانات من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علمًا أو معرفة أو بناء وإعمارًا وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه؛ ولهذا فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيًا والهادمين له انحدارًا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافًا قابلة للإنجاز، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاءً. وفي هذا الشأن الأمر لا يزيد عن كونه أملًا، وسيظل أملًا؛ لأنّ الخالق خلقنا على الاختلاف وسنظل عليه مختلفين في خصوصياتنا وفي آمالنا وإن اتفقنا في بعض منها: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}29.

---

[28] المصدر السابق، 68.

[29] هود: 118، 119.

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدًا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي أن تحدّد الأهداف وفقًا لما يجمع شمل المتفرّقين خِصاما، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلا وارتقاءً.

فمن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاءً، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة فالنّدم يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاءً تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر عمل وأنتج، ومتى ما فكّر حدّد أهدافا من ورائها أغراض، والغاية من ورائها قمّة مأمولة.

وعليه:

إنّ تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعيَّة، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهميَّة الموضوع أو القضيّة التي هم يعملون أو يضحّون من أجلها؛ ولهذا:

ـ حدّد أهدافك قبل أن تبحث أو تعمل.

ـ وضّح أهدافك للغير إذا كانوا على علاقة بها.

ـ فكّ اللبس أو الغموض عن كلّ مفهوم من مفاهيم أهدافك.

ـ ثق أنّ الأهداف تنجز؛ فلا تتأخّر عن العمل على إنجازها.

ـ تحديد الأهداف يدلّ على وضوح الرّؤية.

ـ غموض الأهداف لا يؤدّي إلى تحقيق نتائج.

ـ تحديد الأهداف يمكّن من التدبّر.

ومن ثمَّ وجب التدبّر الذي ترسم سياساته وفقًا لأهداف واضحة؛ وذلك بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة، ومن ثمّ نيل المأمول.

وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم، وتوجيهها وفقًا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة؛ فيخلّصهم من التسوّل إرادة وعملًا، وكذلك لا ينبغي أن يضع بنو آدم أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة؛ فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، والأغراض الرّفيعة، والغايات العظيمة؛ ولهذا لا يمكن أن تبلغ الغايات العظام بلا أهداف والأغراض من ورائها حافز ودافع.

والأهداف ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلمًا ومعرفة وإنتاجًا وحرفة؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والإستراتيجيّات على أي مستوى من المستويات الفردية والجماعية والمجتمعية، وأيّ مستوى من المستويات السياسية والاقتصادية والمعرفية ما لم تحدد لذلك أهداف قابلة للإنجاز.

ودائمًا عندما تحدّد الأهداف تصبح رؤية المحدّدين لها واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من تحديد أهداف بحثه أو سياسته أو تنظيمه؛ فلن يستطيع أن ينجز شيئا يمكن أن يكون على الأهميَّة المرجوة.

وعليه:

. الأهداف ليست أمنيات كُسالى، بل هي التي تحمل في أحشائها الموضوع أو المشكل برمّته.

. الأهداف لا تحدّد بدقّة إلّا من قِبل الجادّين.

. الأهداف تنجز أوّلًا بأوّل.

. الأهداف تهدي الباحثين وترشدهم إليها مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

. الأهداف لا تحدّد إلّا من قبل القادرين على إنجازها.

. يعدّ تحديد الأهداف كسرًا فيما كان يظن أنّه صعبٌ لا يكسر.

. ويعدّ إنجاز أوّل الأهداف أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول.

ولهذا فتحديد الأهداف لم يكن غاية في ذاته، ولكنّه ضرورة لطي الهوة بين من كانت لهم أهداف والمستهدف منها؛ ولذا فالأهداف ترتّب أوّلًا بأوّل؛ ذلك لأنّ إنجازها متتالٍ ومتلاحقٍ، وهي بعد الإنجاز تفتح آفاقًا جديدة لصوغ أهداف جدية لا تتولّد إلّا من بعد الإنجاز السابق للأهداف السّابقة عليها.

ومع أنّ البداية تُعدّ نقطة الصّعوبة، فإنّها في النّهاية لا تعدّ نقطة الاستحالة؛ فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه عمليَّة التذكّر والتدبّر والتفكّر والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ.

ولأجل ذلك ينبغي أن نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، وبين تحديد الأغراض وتحقيقها، وبين تحديد الغايات وبلوغها؛ فالأهداف تحدّد لتنجز أوَّلًا بأوّل، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها؛ ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي تحديد أهداف أهم من التي أنجزت، ثمّ من بعدها أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فلا تكون ذات أهمية إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة؛ ولهذا لا ينبغي أن تكون الأهداف غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها رفعة.

إنَّ قاعدة تحديد الأهداف مؤسّسة على الإنجاز، وإلّا لا داعي لتحديدها، أي: كلّما أنجز بنو آدم هدفا ينبغي أن يكون من ورائه هدف أهم، ثمّ من ورائه هدف أكثر أهمية، ووراء كلّ هدف غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية.

ولذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يحدّد أهدافه، ولكنّه لا يعمل على إنجازها وكأنّ تحديدها هو الغاية؛ وكذلك هناك من يحدّد أهدافه ويعمل على إنجازها دون أن تكون له أهداف من بعدها، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها؛ ولهذا فالأهداف ارتقاءً ينبغي أن يكون من ورائها غرض تكمن من ورائه غاية.

ومن ثمّ، ينبغي لبني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

وعليه:

. إنّ تحديد الأهداف ليس غاية في ذاته، بل الغاية إيجاد المنجز.

. من يحدّد أهدافه غاية ليس له من نتيجة إلّا الفشل.

. إنجاز الأهداف يولّد أهدافًا جديدة في عقول الجادّين.

.كلّ هدف يحدّد من ورائه غرض.

.كلّ غرض يتحقّق من ورائه غاية.

.كلّ غاية تُبلغ من ورائها مأمول يتمّ نيله.

. لا ترسم السياسات إلّا على أهداف واضحة ومحدّد وبيّنة.

. الأهداف تحدّد وفقًا لمتغيرات محدّدة، ولكن لا تقفل على ذلك؛ فهناك من الأهداف ما يحدّد في دائرة غير المتوقّع بما يمكّن من إنجاز المفاجئ.

ولذا فكلّما أُنجز هدف، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف أهداف من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية، فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاءً، أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاءً وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا؛ حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاءً إذا عملوا وفقًا لأهداف تنجز، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاءً، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاءً.

ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة؛ فلا بدّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلًا، واحترامًا، وتقديرًا، واعتبارًا، واستيعابًا، وتفهّمًا، وتدبّرًا، مع مراعاة البدء مع النَّاس من حيث هم؛ من أجل ما يجب أن يكونوا عليه ارتقاءً.

فالارتقاء معمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة)، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، ولكن في المقابل هناك من يهدم المعمار رأسا على عقب، وهناك من يهدّم لبنة بعد لبنة؛ فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيًّا، والهادمين له انحدارًا، ما لم يضع الجميع نصب

أعينهم أهدافا قابلة للإنجاز؛ ومع ذلك فهذا الأمر لا يزيد عن كونه أملًا، وسيظل أملًا؛ لأنّ الخالق خلقنا على الاختلاف وسنظل عليه مختلفين: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[30].

تحقّق الأغراض:

الغرض ما في النفس من مقصد تجاه الآخر، أو تجاه الباعث، أو تجاه الغاية المأمولة، وهو المخفي وراء إنجاز الهدف، أي: وراء كلّ هدف غرض (قصد) لا يعرفه إلّا من حدّد الهدف لنفسه أو للآخرين.

ومع أنّ الغرض لا يُعلن عنه، ولا يطلب تحديده كما هو حال الهدف، فإنّه بالنسبة إلى من يتعلّق الأمر به واضح وجليٌّ؛ فالباحث العلمي لا يمكن أن يُقدِم على تناول موضوع بحثه إلّا بعد أن يحدد أهدافه البحثية بكلّ وضوح، وفي المقابل لا أحد يسأله عن غرضه (القصد) من وراء اختياره وتناوله لموضوع البحث أو مشكلته الدراسية، فهذا الأمر يخصّه وحده ولا دخل لغيره فيه.

فالغرض لا وجود له في ميادين المشاهدة والملاحظة، بل وجوده ضمني مخفي في نفس الباحث، ولكنّه مترتب على الهدف الذي كلّما أنجز استشعر الباحث بتحقق غرضه، فالغرض أثر تحقيقه معنويٌّ؛ أمّا الهدف فأثر إنجازه ماديٌّ.

ولأجل ذلك: ينبغي لنا أن نغوص في عقولنا تدبّرًا؛ حتى نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، وبين تحديد الأغراض وتحقيقها، وبين تحديد الغايات وبلوغها، وبين تحديد المأمولات ونيلها؛ فالأهداف تحدّد تفكيرا قبل أن تصاغ

[30] هود: 118، 119.

أهدافا قابلة للإنجاز، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها؛ ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي ارتقاءً أن يتمّ التفكير في أهداف أهم من التي أنجزت، ثم التفكير من بعدها في أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فلا تكون ذات أهمية إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة؛ ولهذا لا ينبغي لأهداف أن تكون غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها رفعة.

إنَّ قاعدة التفكير في تحديد الأهداف مؤسّسة على التفكير في المنجز قبل أن ينجز، ثمّ التفكير في كيفية إنجازه، أي: كلّما أنجز بنو آدم هدفا ينبغي لهم أن يكون من ورائه هدف أهم، ثمّ من ورائه هدف أكثر أهمية، ووراء كلّ هدف غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية ومن وراء الغايات مأمولٌ.

ولذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يحدّد أهدافه، ولكنّه لا يفكّر في كيفية إنجازها ولا يعمل على إنجازها وكأنّ تحديدها هو الغاية، وكذلك هناك من يحدّد أهدافه ويعمل على إنجازها دون أن تكون له أهداف من بعدها، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها؛ ولهذا فالأهداف ارتقاءً ينبغي لها أن يكون من ورائها غرض تكمن من ورائه غاية.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع هناك من يحدّد أهدافه بمعزل عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كتبت على

الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا يقف حمار الشّيخ عند العقبة؛ إذ لا شيء ينجز سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة.

فبنو آدم سواء أكانوا رجالات دولة، أم مواطنين يدركون أنَّ السّبيل إلى النّجاح هو: التفكير في كلّ شيء يدفع ويحفّز على الارتقاء عن كلّ شيء يؤلم، أو يؤزّم العلاقات، أو يؤدّي إلى تفكّك اللحمة الاجتماعيَّة، أو الوطنيَّة، أو الإنسانيَّة، أو يمسّ معتقدًا دينيًّا.

ولكن من بني آدم من يجهل ويغفل؛ فلا يفكّر فيما يجب؛ فيقع في فخّ مصيدة الغاوين والمزيّنين والمضلّلين التي تزداد ضيقا على رقاب من يقع في فخّها كلّما حاول أن يرى نفسه غير مختنقٍ.

ومع أنّ للألم أوجاعًا، وللتأزّم أوجاعًا، فإنَّ أكثر الأوجاع بين بني آدم ما يتركه الغدر والخيانة من ألم؛ فآلام الغدر والخيانة لا تموت، حتّى وإن سامحك من أجرمت في حقّه؛ ولذلك وجب أخذ الحيطة والحذر؛ حتى لا يحدث الوقوع في فخّ المصيدة مرّتين.

أمّا الحقد بين بني آدم فهو مثل حطب نار جهنّم يحترق قبل أن يحرق غيره، أي: إنّ نار الحقد تحرق أوّل ما تحرق حطبها (الحاقدين)؛ ولذلك فإنَّ الحقد يُلهي الحاقد من بني آدم عن نفسه، والحاقد في حقيقة أمره هو في حاجة لمن يطفئ عنه النّار التي يحرق بها نفسه؛ ومن ثمّ، فمن يعتقد أنّه إذا تمكّن من عضّ يد أحد وعضّها؛ فلا شكّ أنّ عضّ اليد يفكر الآخر في أنيابه إن لم تكن له مخالب.

ولذا فإنّ الجهل والحقد والظّلم والعدوان والكيد والمكر عندما تشتعل نيرانها بين بني آدم فلا سبيل لهم إلّا التخلّف، والانحدار، والسُّفليَّة المؤلمة، وفي المقابل الشّعوب ترتقي علمًا ومعرفة وتسامحا وخبرة وتجربة؛ فتغزوا الأرض سلامًا، والسّماء بحثًا وارتقاءً.

فبنو آدم بلا أغراض قابلة للتحقق لا يعدون إلّا أمواتًا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله؛ فسيبقون على أملهم وكأنّهم بلا أمل، أمّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل، فلا شكّ أنّه سيُسهم في إحداث النُّقلة ارتقاءً، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس.

وهكذا، هناك من يصدّق كلّ ما يقال، ثمّ يحمّسه بين بني آدم مثلما يحمّس القمح في الحمّاس؛ ولذلك فلا ينبغي لبني آدم أن يكونوا سماعيّون فيصدّقون كلّ ما يقال، بل عليهم بالتذكّر اتعاظا، وعليهم بالتدبّر تحليلًا وتفسيرًا وتخطيطًا وسلوكًا وعملًا، وعليهم بالتّفكّر من أجل ما يجب؛ حتى يتمكّنوا من الارتقاء وفقًا لما لهم عليه من أغراض بناءة من خلال ما يمارسونه من حقوق عن رغبة، وما يؤدونه من واجبات عن إرادة، وما يحملونه من مسئوليّات وهم متحمّلون كلّ ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

وعليه:

فارتقاءُ بني آدم مؤسّس على ما أخبرهم وأنبأهم به أبوهم آدم، ومن بُعث من بعده من الأنبيَّاء والرّسل صلوات الله وسلامه عليهم؛ ولهذا فهم يفكّرون والأمل لا يفارقهم بغاية العيش في ذلك النّعيم المنبئ عنه؛ ولأجل ذلك فمن آمن

منهم يسعى ويعمل من أجله ارتقاءً، ومن لم يؤمن ستظل فُرصه على قائمة الانتظار ما بقي حيًّا.

فبنو آدم من أجل تلك الجنّة التي وُصفت بما وُصفت به من عظمة، لهم أغراض فيها؛ فيصلّون لله من أجل بلوغها، ويصومون ويزكّون ويتصدّقون ويحجّون ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من أجل بلوغها؛ ولذلك هم يصلحون أحوالهم ويعفون ويصفحون من أجل بلوغها، ويتعلّمون ويعملون من أجل بلوغها، ومع ذلك فهم في حاجة للمزيد المعرفي الممكّن من زيادة الارتقاء قمّة، وخير وسيلة لذلك المزيد من البحث العلمي والمعرفي في الكون المتسارع اتساعا وتمدّدا.

وهنا أقول لبعض علماء الفيزياء وعلماء الفلك: ما قد تمّ اكتشافه عن الكون من قِبلِكم أخبرنا به القرآن الكريم الذي أنزل قبل أن يفكّر أحد في غزو الفضاء، وقبل أن يتمّ اكتشاف أسرار الكون؛ ولذا فَلِمَ لا تفكّرون بموضوعية، وتتوقّفون عند الكتاب لتتبيّنوا قوله؛ لعلكم ترشدون إلى المزيد من التفكير الممكّن من المزيد من الاكتشاف العلمي، وإلى ما يُمكّن من الارتقاء من أجل بني آدم (النَّاس جميعًا)؛ فإن كنتم أهل موضوعيَّة؛ فلا يليق أن تتجاهلوا كتابًا يملؤه العلم والبيّنة؛ فأنا لا أقول لكم: ادخلوا الإسلام، ولكن أقول: أنتم أهل علم، وها هو مصدر ثمين يملأه العلم آية وراء آية؛ أملًا أن تتهذب أغراضكم من أخذ المواقف منه بأحكام مسبقة، إلى الأخذ بالبحث فيه لما فيه من مقاصد تجعل لكم منه مقصدًا يعود بكم إلى تلك المقاصد مصلحين.

ولهذا فلا ارتقاءً لبني آدم إلّا والبحث العلمي مصدره، والفضائل الخيّرة مصدره، والقيم الحميدة مصدره، ومن يغفل عن ذلك ليس له من خيار إلّا الانحدار على بلاطة الدّنيا.

ومن ثمّ؛ فالارتقاء بالنّسبة إلى بني آدم غرض قابل لأن يتحقّق ومن بعده يتمّ بلوغ الغايات ونيل المأمول، ولكنّ مفهوم الارتقاء غاية لا يتّضح إلّا بمقارنة بين العُليا والدُّنيا؛ فالعُليا هي السّماء، وما فيها من نعيم الجنّة وبقاء الحياة، أمّا الدُّنيا فهي الأرض، وما عليها من مخلوقات وزوال الحياة، وبين هذا وذاك، وجد الإنسان نفسه تفكيرا بين التّخيير تارة، والتّسيير تارة أخرى؛ فالتّخيير (تؤمن أو لا تؤمن، تعمل صالحا أو تعمل طالحا، تُصدِّق أو تكذب أو تنافق أو تدّعي ما تشاء....)، أمّا التّسيير فلا خيار لأحدٍ فيه (حياة أو موت، شروق أو غروب، برق ومطر ورعد وصواعق وزلازل وبراكين وتمدّد كوني متسارع، ومفاجآت عظيمة....).

ولهذا فالارتقاء قمّة، هو ما يمكّن بني آدم من تحقيق الأغراض والعيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزائلة)، وما يمكّنهم من تحقيق الغرض والعيش السّعيد في الحياة العليا (الباقية)؛ فبنو آدم لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة؛ ومن هنا فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاءً.

فالإنسان ينبغي له أن يعيش والأمل لا يفارقه، فإن فارقه الأمل فلا معنى للحياة، فالله خلق أبانا آدم في النّعيم؛ ليعيش وبنوه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزائلة (الحياة المنقوصة) إذ الفقر والألم

والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعة وارتقاءً.

ولسائل أن يسأل:

أيّ حلّ تعني؟

أقول: حلّ أزمة الحياة الدّنيا، التي تتطلّب تفكيرا واعيًا كما تتطلب من بعده عملًا مبدعا ومنتجا بهدف النّهوض، وغرض الارتقاء، وغاية بلوغ القمّة (الحياة الباقية) والفوز بها نعيمًا مأمولًا.

فيجب التفكير في كلّ شيء ولا شيء، ولا سقف ولا موانع توضع أمام الفكر الإنساني، ثمّ يجب من بعد ذلك الإقدام على العمل المشبع للحاجات المتطوّرة بلا حدود؛ ذلك لأنّ الحدود عوائق أمام التقدّم تجاه بلوغ الأفضل والأعظم؛ ولذا فلا ينبغي لبني آدم أن يرتضوا بالفقر؛ فالفقر مرض ينبغي القضاء عليه بالعمل المنتج؛ فلو عمل بنو آدم جميعهم لما وجد الفقر مكانًا له على الأرض، ولأنّهم لا يعملون جميعًا؛ فسيظلون فقراء مهما استغنى منهم من استغنى.

ولذلك فالغنى رحمةٌ والفقر أزمةٌ ومواجع؛ ولأنّهما كذلك وجب على الأغنياء العمل إلى جانب ما يعملون ويجنون من مكاسب، ولا يقصرون أغراضهم على ما يشبع حاجاتهم، بل ينبغي لهم أن يعيدوا صياغتها بما يشمل إزالة الألم عن الفقراء وتحويلهم إلى ميادين العمل المنتج ارتقاءً.

فالغنى ارتقاءً حقّ لا يكون إلّا نتاج العمل المرضي، أمّا الفقر ليس بحقّ؛ بل الفقر أوجدته أسباب وعلل ينبغي لها أن تزال، أمّا العجزة والقصّر فحقوق عيشهم المرضي على كواهل العاملين من ذويهم، ولكن إن كان ذووهم يعيشون

اتكالا على الغير فالعيب لا شكّ أنّه سيلاحقهم، ومن ورائهم سيلاحق من هم مسئولون عن إدارة الدّولة.

إذن فالارتقاء لا يمكن أن يكون على حساب الغير، بل يكون بجهودهم المشتركة إذ لا إقصاء ولا تغييب لأحد عن ممارسة حقوقه، أو أداء واجباته، أو حمْل مسئوليَّاته، وفي المقابل يحدث الانحدار والنّزول سُفليَّة لمن يتخلّى عمّا يجب التمسّك به حقًّا وواجبًا ومسؤوليّة.

ولذلك ينبغي أن يعمل الجميع بهدف الاستغناء والحياة الرّاقية، وكلّما بلغ الجميع مستوى من العيش الرّفيع الرّغد يجب أن يفكّروا فيما هو أرفع وأرغد منه، ومن هنا: تتغيّر وتتطوّر وترشد أغراضهم نفسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا إلى ما يمكّن من ترسيخ كرامة الإنسان.

تجاوز الدّونيَّة:

الدّونيَّة منزلة سُفليَّة لا تليق بأهل العلم ولا أهل المكانة والرّفعة، بل لا تليق بمن خُلق في أحسن تقويم، ومن أراد أن تكون حياته على الخُلق الرّفيعة وعيا وتدبّرا فعليه بكلّ ما يُمكّن من إحداث النُّقلة ارتقاءً إلى ما هو مأمول، وفي مقابل ذلك إن لم يحسن الإنسان إدارة شئونه فليس له إلّا الانحدار، فآدم عليه السَّلام الذي خُلق في العليا عندما أخفق في إدارة نفسه انحدر إلى سُفلية غير متوقعة، وهناك في دائرة غير المتوقّع واجهته المفاجأة بعد ما انحدر معصية مع انحدار شهوته ورغبته؛ التي جعلته على الهبوط إلى الحياة الدّنيا وهو بلا غرض إليها بعد أن كان في السّماء قمّة.

أي: إنّ الهبوط بآدم على الأرض هبوط ليس فيه غرض لآدم عليه السّلام؛ وذلك لأنّ الدنيا لم تكن هدفه، فلو كانت هدفه لكان له غرض من وراء الهبوط عليها؛ لأنّ أدم أهبط به كرهًا، وليس رغبة، ومن هنا: يرتبط الغرض بالرّغبة والإرادة؛ فإن توافرتا كان لصاحبهما غرض أو مجموعة من الأغراض.

إذن الأغراض كما ترتبط بالرّغبة والإرادة ترتبط بالتخيير، ومن ثمّ فلا علاقة لها بالتسيير، أي: لا علاقة لها بالإكراه.

ولهذا فآدم الذي خُلق في أحسن تقويم انحدر من القيم التي ينبغي له أن يكون عليها إرادة ومعصية؛ فكان في سُفلية ودونية أمام خالقه: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[31]. ومع ذلك استغفر آدم ربّه فتاب عليه، ومن هنا فتح الله باب التوبة لعباده الذين آمنوا وعملوا الصّالحات: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}[32].

ومع أنّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، فإنّه قد خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارا يأمل الارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفليَّة، فغفر الله له، وتاب عليه بغرض الارتقاء إلى تلك المقامات العظام، ولكن الأمر لم يعد هيّنًا؛ إذ لا عودة إلّا بالعمل الصّالح الممكّن من الارتقاء إلى تلك القمّة التي أصبحت أمل آدم بعد أن كانت بين يديه.

ولأنّ العمل ارتقاءً يؤدّي إلى ما يُنقذ بني آدم من الألم، كما يؤدّي بهم إلى ما يُغرقهم فيه؛ فهم بين هذا وذاك، بين ارتقاءٍ فيه العمل يُتقن، ودُونية بها

---

[31] التين: 5.

[32] التين: 6.

يُهمل وينحرف إلى ما لا يجب؛ ولذلك كان الصّدق ارتقاءً في مواجهة الكذب انحدارا، وكان العدل ارتقاءً في مواجهة الظّلم انحدارا، وهكذا كان الحقّ في مواجهة الباطل، والحرّيّة في مواجهة الاستعباد، والدّيمقراطية في مواجهة الدّكتاتوريّة، والاستيعاب في مواجهة الهيمنة والإقصاء، وبين هذا وذاك يجب التحدّي بما يُمكّن من الارتقاء غرضًا.

ولأنّ بني آدم بين ارتقاءً ودونيّة؛ فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وما يؤدّي إلى التخلّف والفاقة وتقليل الشأن.

ولذلك فالعمل الصّالح ارتقاءً لا يكون إلّا وفق أهداف قابلة للإنجاز وأغراض قابلة للتحقّق عملًا منتجًا ومتقنًا ومبدعًا ومرسّخًا لقيمة الإنسان، وفي المقابل العمل الفاسد والأغراض الفاسدة لا تكون إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح الآخرين، ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة؛ ومن ثمّ فالعفّة والأمانة والنّزاهة وتحمّل أعباء المسئوليّة ارتقاءً ستظل قيما في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السُّفليّة والدّونيّة التي تتمركز على الأنا.

ولهذا فالارتقاء لا يمكن أن يبلغه بنو آدم إلّا عدلًا وعملًا وعفوًا وصفحًا، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغوه إلّا ظلمًا وإهمالًا وتشدّدًا وتطرّفًا ففي دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع من شاء الارتقاء عمل من أجله ارتقاءً، ومن شاء الانحدار عمل من أجله سُفليّة.

وعليه:

فآدم بعد أن خسر تلك المكانة القمّة، عمل على الارتقاء إليها ثانية، ولكن ظل الارتقاء إلى تلك القمّة من قِبل بني آدم غرضا وأملًا؛ فمن يعمل صالحا يقترب منها، ومن يعمل باطلا يبتعد عنها؛ فالإنسان الذي خُلق على الارتقاء بداية، ثمّ انحدر عنه رغبة وشهوة، أصبح ثانية يسعى إلى العودة إلى القمّة، وهو يأمل أن تُرتق الأرض بالسّماء حتى يرى بأمّ عينه ما يأمله ارتقاءً.

فبنو آدم خُلقوا على الاختلاف، وسيظلون به مختلفين، حتى أهل الوطن الواحد والدّين الواحد واللغة والثقافة الواحدة هم مختلفون في قدراتهم ومواهبهم واستعداداتهم وميولهم واتجاهاتهم؛ ولهذا فهم مختلفون في أغراضهم، ومع ذلك فالاختلاف بينهم لا يلغيه التماثل والتشابه، بل التماثل والتشابه بين بني آدم يؤكّد وجود الاختلاف بلا لبس ولا غموض.

ولأنّه الاختلاف؛ فهو المحفّز على البقاء تنوّعًا، وهو المحفّز على التغيير الممكّن من التّعاون والنّهوض ارتقاءً؛ فبنو آدم ارتقاءً يعلمون أنّهم لم يجدوا أنفسهم خلقا، بل خَلقَهم من هو أعظم منهم؛ فهم يعلمون أنّهم قبل الخَلق لم يكونوا شيئًا يُذكر، ثمّ أصبحوا شيئًا مذكورًا؛ فهم يعلمون أنّ مشيئة من ورائهم هي التي أرادت لهم خَلقًا؛ ولهذا يدركون أنّهم قبل الخَلق لم يبلغوا مستوى الوجود الصّفري قيمة، ولكن مشيئة الخالق شاءت لهم أن يكونوا شيئًا؛ فكانوا شيئًا وفي أحسن تقويم: {أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا}[33].

[33] مريم 67.

ولأنّ بني آدم بين الارتقاء والدّونية؛ فهم مختلفون هدفًا وغرضًا وغايةً؛ ولذا فهم بين معرفة وعلم يؤدّيان بهم إلى النّهوض قمّة، وبين جهل يؤدّي بهم إلى الانحدار والدّونيَّة.

ومع أنَّ القاعدة المنطقية ترى أنّ الارتقاء أساس الخَلق البشري، فإنَّ الاستثناء يرى كفّة الانحدار تكاد أن تتعادل مع كفّة الارتقاء، وهنا تكمن العلّة؛ إذ قلّة الجهد المبذول من قِبل من يأمل ارتقاءً، في مقابل الجهد المبذول من قِبل من تشدّه السُّفلية، وهذا الأمر يشير إلى أنّ زمن الصّراع سيطول بين من غرضه رتق الأرض بالسّماوات، ومن غرضه مخالف لذلك.

ومن ثمّ، ينبغي لبني آدم عند رسم السّياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السّعيد قيمة. ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا؛ فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف متسولين.

بلوغ الغايات:

الغاية: هي ذلك الشيء البعيد الممكّن من نيل المأمول، وهي تُبلغ عملًا وجهدا يبذل في سبيل الإنتاج وقبول التحدّي وتجاوز الصِّعاب بعد مغالبتها بأهداف تنجز وأغراض تتحقّق.

والغاية مع أنّها تُبلغ فإنَّها لا تدرك إلّا من قِبل صاحبها الذي يأمل بلوغها؛ فإنَّها لم تكن هدفًا مشاهدًا، بل هي ذلك المجرّد الذي يدرك ولا يشاهد.

والغاية لم تكن هي المأمولة، بل هي ما يمكّن من بلوغ المأمول، أي: إنَّ المأمول هو ذلك الشيء المراد نيله أو الفوز به، أمّا الغاية فهي الكامنة في العقول

والصدور، والتي في الغالب لا يعلن عنها حتى نيل المأمول الذي كان في الأنفس مجرّد غاية وأمل.

فالغايات لم تكن مثل الأهداف التي تحدّد بوضوح، بل هي في عقل الضامر وضميره، الذي وحده يعرف ماذا يريد؟ أو ماذا يرغب من وراء تلك الأهداف التي حدّدها وثابر على إنجازها؟

فالباحث العلمي على سبيل المثال: لا بدَّ له أن يحدّد أهداف بحثه أوَّلًا بأوّل؛ حتى يتمّ اعتمادها من قِبل الأستاذ المشرف والتصديق عليها من لجنة القبول، أمّا أغراض الباحث وغايات فهي من وراء نيله درجة الماجستير أو الدكتوراه، وهو وحده الذي يعرف غاياته، ولا يعلمها إلّا الله أو من أخبرهم بها.

ولأنّها الغاية؛ فهي لا تدرك إلّا ممن يعلمها سرًّا وجهرًا، فعلى سبيل المثال: الغاية من التمدّد المطلق لا يعلمها إلّا العليم المطلق، فمعرفة الغاية من تمدّد الكون متجاوزة لدائرة الممكن، فلا تدرك إلّا من خارجها (من قِبل من بيده العلم المطلق) الذي خلق ويخلق وسيخلق، قال تعالى: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}34 .

يفهم من هذه الآية: أنّ ما اكتشفه علماء الفيزياء من تمدّد كوني، لا مفاجأة فيه لمن يعلم أنّ صفة الخالق هي الخلق بلا انقطاع، فهو الذي خلق الكون (السّماء والأرض)، وهو الذي خلق الأكوان (السّماوات والأرضين)، وهو الذي خلق التمدّد الكوني بلا انقطاع (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) وهو الذي بيده نهاية

[34] الذاريات: 47.

الكون {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ}35، وهو الواحد الذي يعلم الغاية من وراء ذلك ولا أحد بإمكانه أن يعلمها.

فعلماء الفلك والفيزياء وكذلك المؤمنون على الرّغم من خلافهم على خَلقِ الكون، فإنَّهم يتفقون على أنّه لم يعد بعد بلوغ الغايات إلّا النّهاية التي لا يعلم الغاية من ورائها إلّا الله جلّ جلاله.

وعليه:

الغاية لم تكن النّهاية كما يعتقد البعض؛ ذلك لأنّ الغاية من ورائها مأمول، أمّا النّهاية فمن ورائها العدم، أي: إنّ الغاية تُبلغ ليكون من بعدها المأمول بين اليدين قابلا للتعامل معه حقيقة في ذاته وليس غاية، فالغاية دائمًا تكمن في الصدور والعقول، وهي تتطلّب حُسن تدبُّر حتى تُبلغ، ومع ذلك لم يكن بلوغها في ذاته هو الغاية، بل الغاية هي التي تُمكِّن من بلوغ الشيء؛ ليكون من بعد بلوغه قابلا لنيله أو قابلا للنيل منه أو الفوز به شيئا بعد أن كان مجرّد أمل.

ولهذا فالغاية هي الأخرى قابلة لتجاوزها، أي: قابلة لتجاوزها بما هو مأمول، فالغاية تُمكّن أصحابها من بلوغ المأمول؛ ولذا لم تكن هي المأمولة، هي فقط تُوصِّلُ أصحابها عملًا حتى ملامسة المأمول، ولكن كيف ينال المأمول؟ أو كيف ينال شيء منه؟ أو كيف يمكن أن يتمّ الغوص في أغواره؟ فهذا حسب الجهد والأسلوب والمقدرة، وهو أيضًا بعد أن يتمّ بلوغه غاية قابلة لأن تتجسّد في الشيء المشبع للحاجة أو الملبّي للرّغبة أو المقصد أو الطلب.

[35] الأنبياء: 104.

إذن الغاية لم تكن الشيء كما يظن البعض حتى يقال عنها: (الغاية هي ذلك الشيء)، بل الغاية للمُشيء (الإنسان) فالغاية لا تزيد عن كونها ذلك الذي يضمره العقل البشري تجاه ذلك المأمول الذي يستوجب بعد بلوغه غاية كيفية بها يتمّ التعامل معه أو التمكّن منه أخذا؛ ولهذا سيكون هناك جهد يبذل بعد بلوغ الغاية وهو التعامل مع المأمول كسبا وإشباعا للرغبة أو الشّهوة أو الحاجة المتنوّعة.

فعلى سبيل المثال: إذا كان للإنسان غاية محدّد وهي السّفر إلى دولة ما ولتكن ألمانيا، وتحقّق له هذا السّفر ودخل إلى ألمانيا، فهنا تعد الغاية قد تمّ بلوغها، ولكن: ما المقصد من ورائها؟ هل المقصد من ورائها هو العمل أم العلاج؟ أم مجرّد الإقامة والعيش هناك؟ فهذا الشيء لم يكن الغاية، بل هذا الشيء هو المأمول وهو المترتّب على بلوغ الغاية (بلوغ الأراضي الألمانية)، ممّا يجعل لمن كانت له غاية السّفر إلى ألمانيا أن يفصح عن مأموله، وأن يعمل عليه حتى يتمّ نيله أو الفوز به وفقًا للجهد الموضوعي.

ولهذا فالغاية لا تزيد عن كونها الكامنة في الصّدور والعقول التي ترسم لمستقبلها مأمولات وتسعى إليها غاية تبلغ، ومن بعدها يتمّ نيل المأمول جهدا مع قبول تحدّي الصِّعاب، وصبر لا يجعل في نفس صاحبه للملل مكانًا ليركن إليه.

وعليه:

ـ الغاية تُبلغ فلا تقنط.

ـ الغايات لا تبلغ إلّا تحدٍّ؛ فعليك بالتحدّي الذي يمكّنك منها تيسيرا.

. الغاية مع أنّها في النفس وتحت سيطرة العقل، فإنَّ الشيء المراد بلوغه قد يكون بعيدا، ومع ذلك قوَّة الغاية وتحفّز أصحابها يسرّع من طيي الهوة بين من يضمر في نفسه غاية والشيء المراد بلوغه.

. بلوغ الغاية يُمكّن من تفحّص المأمول ونيله.

. الغاية تُبلغ ولكنّها لم تكن في ذاتها شيئًا، بل الغاية بلوغ الشّيء؛ ليكون من بعد بلوغه عملًا يجعل نيل المأمول الذي تمّ بلوغه ميسّرًا.

. الغاية تُمكّن من بلوغ الشيء، ولكنّها لم تكن هي الشيء في ذاته، فالشيء يتم نيله أو أخذه، أمّا الغاية فلا تؤخذ ولا يتمّ نيلها، بل نيل الشّيء لا يؤخذ إلّا من بعدها؛ فينبغي للإنسان أن يولّد في نفسه غايات وفي عقله تدبّر، ثمّ يعمل حتى يتمّ نيل المأمول الذي لم يكن قبل نيله إلّا مجرّد أمل.

ومن ثمّ فمن يرد أن يبلغ الغايات العظيمة فعليه أن يجعل غاياته درجات سلّم (درجة أعلى من درجة) أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلّم، أهّب قدمه الأخرى إلى الدّرجة التي هي أعلى من التي وضع عليها قدمه الأوّلى؛ ولذا فلا ينبغي لأحد من بني آدم أن يغفل ويضع قدميه معًا على درجة من درجات السّلم؛ حتى لا تنكسر بأيّ علّة ويجد نفسه قد وقع على الأرض الدّنيا حطاما؛ فالقدمان لا يوضعان بسلام وصاحبهما مطمئن إلّا على قمّة استراحة السّلم الذي يرتق الأرض مع السّماء ارتقاءً.

إذن: بلوغ الغايات يستوجب:

. تخمينًا مع حُسن تدبّر.

. وعيًا بالمأمول.

. إمكانيّة بلوغ المأمول.

. قبولَ تحدّي الصِّعاب.

. صبرًا لا إحباط من بعده.

. ثِقةً لا شكّ يراودها.

. يقينًا لا حياد عنه.

. صمودًا، وإن كانت الصِّعاب تصاحبه مؤقّتا.

. ثباتًا ولا حياد عن تلك الأهداف الواضحة تجاه الغايات المراد بلوغها.

. عملًا مؤسّسًا على التفهّم والتبيّن حيث لا غموض.

. اعمل وأنت تفكّر في كيفية توليد الغاية من الغاية.

ولذا فعلى بني آدم أن يعملوا، وعليهم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاءً كلّما عملوا وفقًا غايات يتمّ بلوغها، ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة فلا بدَّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلًا، واحترامًا، وتقديرًا، واعتبارًا، واستيعابًا، وتفهّمًا، وتدبّرًا، مع مراعاة البدء مع النَّاس من حيث هم، من أجل أن يبلغوا الغايات العظام.

ولأجل ذلك ينبغي للإنسان أن يكون له غايات قابلة للبلوغ، وينبغي له أن يكون من وراء الغايات التي تمّ بلوغها غايات أعظم من تلك التي قد بُلغت وحقّقت الاطمئنان لآمليها.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع هناك من يحدّد أهدافه بمعزلٍ عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كتبت على الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا يقف حمار الشّيخ عند العقبة، حيث لا شيء ينجز، سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة، وهنا يكمن الوهن والضعف، ولا تتحقّق الغايات التي بنى البعض عليها آماله وهمًا وتخيلًا.

ومن ثمّ ينبغي لبني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة قوَّة ورفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة. ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

ولذا فكلّما أُنجز هدف، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف أهداف من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية؛ فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاءً، أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاءً وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا؛ حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاءً كلّما عملوا وفقًا لأهداف تنجز رغبة، وأغراض تتحقّق عن إرادة، وغايات يتمّ بلوغها عن قوَّة، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي

الصّاعدين ارتقاءً، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين قوَّة.

وعليه:

فالغايات هي حيويّة الدّوافع، ومثيرة الحوافز النفسيّة والذهنيّة والعاطفيّة بقوَّة الرّغبة والأمل تجاه ما يمكن أن يبلغ في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع. والإنسان بلا غايات هو بلا آمال؛ ومن ثمّ فلن يكون في عصره من بين صنّاع المستقبل ومحدثي النُّقلة[36].

نيل المأمول:

نيل المأمول لا يعد أمرًا هينًا، وهذا لا يعني أنّه خارقة، بل المأمول في معظمه عند العظماء عظيمًا؛ ولهذا لا يمكن بلوغه ونيله إلّا بتحدّي الصّعاب، فالمأمول هو الباعث الذي ولّده الأمل فكرة حتى أصبح شيئا يتم بلوغه ونيله؛ ولأنّه مولود الفكر فهو للآملين مثل الوليد للآباء رعاية وعناية، وحرصا وعملًا جادًّا، تحشّد الإمكانات وتبذل الجهود من أجل بلوغه، ثمّ نيله والحفاظ عليه حفاظا على مولود من الأصلاب، دون أن يوقف الإنجاب من بعده؛ فالابن دائمًا في حاجة لأخوة، والآباء في حاجة للأبناء رحمة، وهكذا المأمول يتولّد من الفكرة والمشاهد مأمولا من بعده مأمول.

والمأمول لا ينجبه الانتظار، بل ينجبه القبول بتحدّي الصّعاب والإقدام على تحديها، ومن ثمّ ينجبه الفكر المنظّم والعمل الجاد، وفي المقابل الانتظار لا عمل، ولا عمل يساوي نتيجة صفرية؛ ولهذا فالمأمول لم يكن المنتظر، بل المتوقّع

[36] عقيل حسين عقيل، مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 105 . 113.

كما هو. فإذا جعلنا المأمول منتظرا فلا داعي للعمل، فهو المتوقّع الذي حُددت الأهداف من أجله، وَوَضَحت الأغراض والغايات من ورائه، ورسمت الخطط والاستراتيجيات المؤدية إلى نيله.

ولأنّ المأمول لم يكن المنتظر؛ فهو أيضًا لم يكن المرتجى؛ فالمرتجى لا سبيل لبلوغه إلّا من خلال الغير الذي قد لا يستجيب لمطلب ولو توسّل المتوسّل، أمّا المأمول فلا انتظار ولا توسّل إلّا لله تعالى، إنّه الاعتماد على النفس والإمكانات المتاحة والتي يمكن أن تتاح إرادة ورغبة وضرورة.

والمأمول لم يكن الجهد المبذول، بل ما يبذل من الجهد من أجل نيله (إنّه المترتب على الجهد الذي أنتجه شيئًا ملموسًا) فالفلّاح على سبيل المثال: يحرث ويزرع وأمل الحصاد لا يفارقه، ولسائل أن يسأل:

. لم لا يكون الحصاد مأمولًا؟

أقول: الحصاد جهد يبذل، وهو أمل الفلاح، أمّا مأموله فهو أن ينال إنتاجًا وافرًا. فإن كان وفيرا نال مأموله، وإن كان غير ذلك فسيكون موسمه درسا له لمواسم أكثر أملًا.

وعليه:

الأمل يحرّك الآمل ويدفعه، ونيل المأمول يطمئنه ويحفّزه على المزيد، فالآمل لا يقنط، والحياة الدنيا بالنسبة إليه مدرسة يجب أن يكون فيها ناجحا ومتميّزا إن أراد أملًا أعظم في حياة أعظم.

المأمول وإن صعب نيله فنيله ممكن، شريطة القيام بعملٍ موجبٍ، مع صبر على بذل الجهد والمثابرة، ثمّ تحدٍّ الفشل، مع العلم أنّ الفشل لا يكون إلّا بأيدي اليائسين، ولا يكون إلّا عن إرادة منهزمة لشخصيّة لا تقبل التحدّي، وهذا لا يعني: أنّ المأمول صعب المنال، بل يعني: فقدان العزيمة (تصميمًا وإصرارًا) على حياة أفضل، والعزيمة لا تمنح، ولا تشترى، بل هي تستمدّ من العقل الذي يفكّر في أمره وتحسين أحواله وضمان مستقبله، وهذه لا تكون إلّا بيد العقلاء، فمن له عقل لا يليق به ألا يستثمره ويوظفه فيما يفيد شخصه ومن لهم علاقة به، فالذي اختار أمله غزو الفضاء، قد اختار الصّعب تحدّ، فبلغ الفضاء غزوا ومأمولا، ومن ثم ثبت لنا أنّ الصّعب لا يصمد أمام المتحدّين، أي: إنَّ الصِّعاب لا تستسلم إلّا على أيدي المتحدّين؛ ولذا فلم لا نتحدّى؟

المأمول مع أنَّه باعث خارجي (خارج الفكرة) لكنّه لا يكون إلّا خلقًا أي: خلق (الشيء ولا شيء)، أو أنّ يكون مولود الفكرة، فعقل الإنسان لو لم يفكّر ما أنتج الفكرة، ولو لم يكن مستبصرًا ما ولّد من المشاهد فكرة.

المأمول يتعدد ويتنوّع وفقًا للحاجة والمطلب، وهو لا يُبلغ إلّا عن إرادة وجهد يبذل مع القبول بدفع الثمن، وقد يكون المأمول خاصّا وفقًا للحاجة والشهوة وهو كثير، وقد يكون عامّا كونه مأمولا عظيما، وكلّ مأمول عام فيه منافسة، وقد يكون عليه الصراع، فرئاسة الدّولة مأمولة عند كثيرين، والمنافسة الحرّة وفقًا للدستور وحدها الحاسمة، ولكن لا يمكن أن يكون رئيس للبلد إلّا فائزا واحدا. ومع ذلك البعض قد يحترم نتائج الدستور والبعض قد لا يحترمها، فتنقلب المنافسة الحرّة إلى صراع دام، وهنا تكمن العلّة، وقد تحدث الانقلابات على الدساتير كرها، وهذه في معظمها أساليب لا تُحترم عند أهل الثقافة.

ولأنّ الانقلابات لا تكون إلّا كرها؛ إذ لا دستور، فهي تحمل عناصر فنائها فيها ممّا يجعل بعد كلّ انقلاب انقلابات.

والتعليم مثال آخر على المأمول العام: فهو مع أنَّه عامّ، لكنّه لا يكون على حساب أحد، وفيه يتنافس المتنافسون.

أمّا الفوز بالجنة فيعد المثال الأعظم للمأمول العام، ومع أنَّها مأمول عام، لكنّ بلوغها والفوز فيها لا يكون إلّا خاصّا؛ لأنّ نيلها نيل مكانة، مكانة تستوعب الجميع دون أن يكون أحد على حساب آخر، وهنا لا مقارنة بين مكانة رئاسة الدولة التي لا تشغل إلّا مفردة، ومكانة أعظم تستوعب ما خلق مأوى ونعيما ومتعة، قال تعالى: {يَا قَوْمِ اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ}[37].

ولهذا فالجنّة مأمول ولم تكن أملًا، فالأمل مولود الفكرة، أمّا الجنة فخلق الخالق، وهي متاحة لمن يشاء ويعمل من أجل نفسه ونيلها فوزا مع الفائزين.

ومع أنَّ المأمول عام (الجنة)، فإنَّه لا يتم نيله إلّا بجهد خاصّ؛ لأنّ العلاقة بين المخلوق المجازَى بها والخالق المجازي بها علاقة خاصّة.

أمّا إذا كان المأمول عامّا والمطلب أيضًا عامّا؛ فالمثال الذي يمكن سوقه افتراضا: أنّ دولة ما قد تمّ احتلالها من الأجنبي، ففي هذه الحالة لن يكون لمواطنيها مأمول إلّا تحريرها، ومن هنا يصبح المأمول العام مطلبا عاما؛ ولا أمل للشعب كلّه إلّا تحرير وطنهم، فيعملون كلّ ما هو ممكن؛ حتى يتحرر كما أملوه مأمولًا.

---

[37] الأنعام: 135.

وهناك ما يماثل هذه الأمثلة، من حيث إنَّ المأمول جمعيًّا والنوايا فردية، كالقيام بفريضة الحج المأمولة من المسلمين، غير أنَّ تأديتها لا تؤسّس إلّا على النيّة، وهذه لا تكون إلّا فردية وكأنَّ الفرد حاج بمفرده، فينوي بنفسه حجّا، ثمّ يتقدّم مع الحجيج لأداء الأركان الأخرى، ومن هنا يندمج الأنا في الذات العامّة.

ولسائل أن يسأل:

ـ أين الأمل في هذا المثال؟

أقول: الأمل تلك الحيويّة التي هيأت المسلم لإعداد العدّة استعدادًا وتأهبًا حتى قام بأعمال الحج وناله من بعد غاية.

والآمل: المسلم المقدِم على أداء فريضة الحج.

أمّا المأمول: القيام بالفريضة على أتم وجه.

فالحج مع أنَّه مأمول عظيم لدى المسلمين؛ لكنّه يعد عملًا يجب القيام به من أجل مأمول أعظم (الجنة) حيث النعيم الدّائم، أي: إنّ المسلمين يميزون بين النعمة والنعيم؛ فهم يعرفون أنّ الدنيا بيت النعم المتعددة والمتنوّعة، وأنّ الآخرة بيت النعيم الدّائم، وللتمييز النعم فيها الأذواق تتعدد وتختلف وتنقطع، أمّا النعيم لذة دائمة لا تنقطع، ولا يختلف عليها ولا يتخالف، أي: إنّ الجنة فيها النعيم بذاته، أمّا الدنيا فيها النعم تتحوّل فضلات، وهنا الفرق كبير بين النعيم لذة لا تنقطع ولا تنقص ولا تنتهي ولا يتعفّن نعيمها وما يترك زبالة تشمئز الأنفس من رائحتها النتنة.

وعليه: فإنّ المأمول المطلق: الفوز بنعيم الجنّة، أمّا ما دونه فهي مأمولات في دائرة الممكن؛ ولهذا فالمأمول هو المقصود في ذاته دون سواه؛ ليتم نيله استجابة لأمل عن رغبة، سواء أكان نسبيا أم مطلقا.

والمأمول لا يكون إلّا معلومًا، والقصد إليه ثابتٌ، وإن أخذ العمر كلّه، فالمهم أن يبلغ وينال، فساعة نيله وكأنّه لم يقض ما انقضى من وقتٍ، وساعة نيله وكأنّه كان غير متوقّعٍ بالرّغم من توقّعه.

وعليه فالمأمول:

. لم يكن خيالا مجرّدا.

. نتاج العمل الجاد.

. يتم نيله والفوز به.

. يفتح آفاقا جديدة أمام الآملين.

وعلى الآملين:

. التفكير الجاد؛ حتى يولّدوا من الفكرة فكرة.

. التعلّم؛ حتى يتعلّموا كيف يتعلّمون.

. أنْ يرفضوا؛ حتى لا يكون الرّفض غاية.

. أنْ يتقبّلوا دون أن يكون التقبّل مذلّة.

. أن يحترموا؛ حتى لا يصبح الاحترام جبنا.

. أنْ يتفهّموا ظروف الغير دون أن يجعلوا مأمولاتهم على حسابهم.

ـ أن يتكلّموا دون أن يصبح الكلام ثرثرة.

ـ أن يستوعبوا قبل أن تخلط الأوراق.

ـ أن يحاججوا؛ كي لا تتسع دوائر التّتبُّع.

عليه: فالأمل ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه بلوغ المأمول ثم نيله، والآمال هي المرجوة بلوغا ثم نيلا، سواء أكانت بحثا علميا أم عملًا أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا تحدد لها الأهداف؛ لتكون مرشدة لمراميها.

فالآمال تحدّد لها الأهداف وفق الإمكانات المتاحة من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علمًا أو معرفة أو بناء وإعمارا وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه، ومن ثمّ فالصّراع بين بني آدم اختلافا وخلافا لن ينتهي بين البناة أملًا، والهادمين له انحدارًا ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافا مشتركة (قابلة للإنجاز)، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاءً، وآمال رفيعة يتم نيلها.

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي له أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي للأهداف أن تحدّد وفقًا لأملٍ مشترك يجمع شمل المتفرّقين خِصاما، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلا وارتقاءً.

ومن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة حيث لا أمل، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛

فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاءً، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة؛ فالأمل الرّفيع يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاءً تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر عمل وأنتج، ومتى ما فكّر حدّد أهدافا من ورائها أغراضٌ، والغاية من ورائها القمّة مأمولة.

وعليه:

إنّ تحديد الآمال مثل تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعية، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهمية الموضوع أو القضية التي يأملونها ويضحّون من أجلها؛ ولهذا:

وضوح الأمل يؤدّي إلى وضوح الرّؤية.

ـ غموض الأمل لا يؤدّي إلى بلوغ المرضي.

ـ تحديد الأمل يمكّن من التدبّر.

ـ ولّد في نفسك وعقلك أملًا من ورائه مأمولات.

ـ تبيّن أملك قبل الإقدام على العمل.

ـ ثق أنّ الآمال تُنال؛ فلا تتأخّر عن العمل.

وإذا أراد بنو آدم عدم الجلوس على أرصفة البطالة والمتسوّلين فعليهم بصناعة الأمل وتوليد الآمال منه، ثمّ وجب عليهم حُسن التدبّر مع أخذ الحيطة والحذر؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة، ومن ثمّ نيل المأمول.

وفي المقابل لا ينبغي للعاطفة أن تجرّ أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من صنع الأمل والمشاركة في العمل المنتج، وكذلك لا ينبغي لبني آدم أن يضعوا أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة؛ فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، وتحقيق الأغراض الرّفيعة، وبلوغ الغايات العظيمة، ونيل المأمولات قمّة.

ولهذا فالآمال ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلمًا ومعرفة وإنتاجًا وحرفة؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والإستراتيجيَّات على أي مستوى من المستويات الفرديّة والجماعيّة والمجتمعيّة وأيّ مستوى من المستويات السياسيّة والاقتصاديّة والمعرفيّة ما لم تحدد لذلك آمال عريضة تحتوي أهداف قابلة للإنجاز ومأمولات قابلة لأن تصبح شواهد.

وعندما تُصنع الآمال، وتحدّد الأهداف، تصبح رؤية الآملين واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من صنع آماله وتحديد أهدافه أو رؤيته أو سياسته فلن يستطيع أن ينجز شيئًا يمكن أن يكون على الأهميَّة المأمولة.

وعليه:

. الآمال العظيمة ليست أمنيات الكُسالى، فهي تحمل في أحشائها حيويّة تدفع تجاه نيل المأمولات الراقية.

. الآمال العريضة لا تصنع إلّا من قِبل الجادّين.

. الآمال لا يقودها إلّا آمل وإن استعان بمن استعان.

. الآمال تهدي الآملين إلى مأمولاتهم وترشدهم إليها مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

. الآمال لا تتولّد في العقول إلّا من قِبل القادرين على نيلها أو الفوز بها.

. يعد تحديد الآمال خرقا لما كان يظن أنّه صعب المنال.

. يعد إنجاز أوّل أمل أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول.

. تحديد الآمال لم يكن غاية في ذاته، بل الغاية طي الهوة بين الآمل والمأمول؛ لأنّ بلوغ الغاية وطي الهوة يفتح آفاقا جديدة لتوليد آمال جدية لم تتولّد إلّا من بعد مأمول تمّ نيله.

ومع أنَّ في البداية تكون الصّعوبة، فإنَّ في النّهاية لا تعد استحالة؛ فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه عمليّة التذكّر والتدبّر والتفكّر والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ والآمال تُنال.

ولأجل ذلك ينبغي لنا أن نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، والأغراض وتحقيقها، والغايات وبلوغها، والمأمولات ونيها؛ فالأهداف تحدّد لتنجز أوَّلًا

بأوّل، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها، وبالتّالي فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي تحديد أهداف أهم من التي أنجزت، ثمّ من بعدها أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فلا تكون ذات أهميّة إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة، ومن ورائها مأمولات أعظم؛ ولهذا لا ينبغي لأهداف الآمل أن تكون غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها ما يحقق الرفعة (نيل المأمول ارتقاءً).

ولهذا فإنَّ قاعدة صنع الآمال وتوليدها مؤسّسة على وجوب نيل المأمولات، وإلّا لا داعي لصنعها وتوليدها؛ فكلّ ما نال بنو آدم مأمولا ينبغي لهم أن يكون من ورائه مأمول أهم، ثمّ من ورائه مأمول أكثر أهمية، ووراء كلّ مأمول غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية مأمولة.

وفي دائرة الممكن غير المتوقّع البعض يصنع له أملًا، ولكنّه لا يعمل على نيله وكأنّ صنع الأمل هو المأمول في ذاته؛ وكذلك هناك من يصنع له أملًا ويعمل على إنجازه دون أن تكون له آمال عريضة من بعده، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها؛ ولهذا فالآمال ارتقاءً: ينبغي لها أن يكون من ورائها أغراض تكمن من ورائها غايات عظيمة.

إذن ينبغي لبني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ أمل غرضًا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة، ولكن

إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وألم، وهنا يكمن الانحدار علّة.

وعليه:

. إنّ تحديد الآمال ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه نيل المأمول.

. من يحدّد آماله غاية ليس له من نتيجة إلّا الفشل.

. توليد الآمال يولّد آمالا جديدة في عقول الجادّين.

. لا يولّد الأمل من الأمل إلّا ومن ورائه غرض، ومن وراء الغرض غاية من ورائها مأمول؛ ولهذا فكلّ غرض يتحقّق من ورائه غاية، وكلّ غاية تُبلغ من ورائها مأمولا يفتح آفاقا أمام مأمول أعظم.

. تصنع الآمال وفقًا لمتغيرات بيّنة، ولكن الآمل لا يقتصر عليها؛ فهناك من الآمال ما يصنع في دائرة غير المتوقّع بما يمكّن من إنجاز المفاجئ.

ولذا فكلّما تمّ نيل أمل، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف آمالٍ من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية؛ فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاءً، أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاءً وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا؛ حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاءً إذا عملوا وفقًا لآمال يتم نيلها، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء

من التّعب فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاءً، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين أملًا وارتقاءً.

ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة، ونيل المأمول رفعة فلا بدَّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلا، واحتراما، وتقديرا، واعتبارا، واستيعابا، وتفهّما، وتدبّرا، مع مراعاة البدء مع النَّاس من حيث هم، من أجل ما يجب أن يكونوا عليه رفعة.

فالارتقاء معمار ينبغي له أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة)، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، وأمل من ورائه آمال، ولكن في المقابل هناك من يهدّم المعمار رأسا على عقب، وهناك من يهدّمه لبنة بعد لبنة؛ فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا والهادمين له انحدارا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم آمالا قابلة لأن تنال[38].

[38] عقيل حسين عقيل، الأمل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 152 . 160.

صُنعُ المستقبل

المستقبلُ هو ذلك المعلوم وفقًا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، وهو الذي من أجل بلوغه الشّعوب والأمم المتقدّمة تخطّط له وترسم السياسات، أمَّا الشّعوب والأمم المتخلّفة فتضع المستقبل في علم الغيب، في الوقت الذي لم يكن فيه بعلم غيب، بل هو الذي سيأتي في حركة متصلة مع إدارة الزّمن برهةً وساعةً ويومًا وأسبوعًا وشهرًا وعامًا ودهرًا وهكذا، فعلم المستقبل هو الذي نعلمه في دائرة الممكن؛ فنحن نعلم أنَّ غدًا الجمعة بما أنَّ اليوم هو الخميس؛ ولهذا نفكّر في يوم الجمعة ونعمل من أجله حتَّى يأتي دون أن نغفل عن السّبت وبقيّة الأيّام؛ فنكدّ ونجدّ من أجل أن تكون أحوالنا فيها على خير، ولأنَّنا نعلم أنَّ التّعليم يقضي على الجهل ويُحسّن أحوالنا المعيشيّة والصّحيّة والثقافيّة والاجتماعيَّة والسياسيّة؛ فنبني المدارس والمعاهد والجامعات ومراكز البحث العلمي؛ ليكون النَّاس كلّ النَّاس في مستقبلٍ أفضل، ولو لم نفكّر ونعمل من أجل المستقبل فلماذا نستنشق الأكسجين؟ ولماذا نقي أبداننا من البرد القارص؟ ولماذا نصلّي ونصوم ونزكّي إن لم يكن كلّ ذلك من أجل المستقبل؟

ألا يكون لأحوال الطّقس قراءات في دائرة المستقبل المتوقّع؟ ألا تكون هناك قراءات دقيقة عن أزمنة الكسوف والخسوف وأماكنه التي يظهر فيها أكثر وضوحا؟ فهل هذا علم غيب؟!

بالتأكيد لا؛ فعلم الغيب هو الذي لا نعلمه، إنَّه بأمر الله عالم الغيب والشّهادة، أمَّا علم المستقبل هو العلم الذي نعرفه؛ كونه يكمن فيما نعرف من أيّام وأعوام ستأتي بلا شكّ إن لم يصدر عالم الغيب أمرا، وحتَّى النّمل يدرك

المستقبل، ممّا يجعله يعمل جادًا في أيّام الصّيف والخريف من أجل أن يخزّن طعامًا له لتلك الأيام القارصة التي ستأتي في فصل الشتاء؛ فما بالك بالإنسان الذي يتذكّر ما مرّ به من أزمات في أعوامه المنصرمة أيًّ كانت هذه الأزمات، سواء أكانت غذائية أم مائية أم طبيعية، أم صحية؟ فهذه معطيات تجعله يفكِّر في أعوامه الآتية في يومه هذا؛ كي لا تتكرّر معه التأزُّمات المؤلمة ثانية، ويسلم من الأضرار التي لا تكون إلّا بأسبابها؛ فيتدبَّر أمره تخطيطًا وعملًا إستراتيجيًّا به تُحدث النُّقلة من حالة كانت سائدة بالتأزُّمات إلى حالة الحلّ المخلّص من كلّ أزمة.

والمستقبل ليس ذلك الزّمن المنتظر في ذاته، بل هو ذلك المأمول الذي لا يتحقّق إلّا فيه؛ ولهذا فالمنتظرون للزّمن في ذاته، لا شكّ أنّ ما ينتظرونه سيكون متحقّقا، ولكن بلا آمال؛ لأنّه الزّمن المنتظر، وهذا الذي نخشاه وفي شأنه نقول:

لا ينبغي أن تنظروا الزّمن، بل عليكم بانتظار ما تأملون أن يكون تتويجا لما تبدلونه من جهد تكون ثماره إنتاجا بين أيديكم في الزّمن المنتظر (المستقبل).

والمستقبل زمن لم يأت بعد، وهو الذي ترسم الخطط وتوضع الإستراتيجيات من أجل بلوغه عملًا وإنتاجًا ونهضةً وتقدّمًا؛ ممّا يجعل الزّمن ليس غاية، بل الغاية تفادي ما يمكن أن يكون فيه حاصلًا سلبيًّا، والمستقبل غير منزوٍ عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما، ويمثلان له قاعدة التأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمةٌ وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول ارتقاء، وهو الذي من دونه لا يجد الآمل حلًّا.

ولأجل النّهوض ارتقاء، وجب المزيد من البحث العلمي الممكِّن من المعرفة الواعية التي بدورها تُمكّن من الإسراع في طي الهوة بين المأمول والأمل، وذلك بما يطوي مشاعر الخوف طمأنينة، ويخلّص من الحيرة حلّا بعد تأزّم؛ فالبحث العلمي ارتقاء يستوجب أسلوبًا مرنًا، وطريقةً تستوعب التاريخ تجربة ومنهجا ووسيلة.

ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم؛ فليس له بدّ إلّا المحافظة على حُسن تقويمه، وهذه قاعدة، ولكن إن انحدر استثناء، وبأيّة علّة فليس له إلّا النّهوض، وهذه قاعدة أيضًا، والإنسان بين قاعدة واستثناء لا ييأس؛ ولهذا وجب العمل الذي يمكّن من بلوغ الغايات العظام التي يأملها؛ فالإنسان متى ما فقد ألأمل فقد المستقبل المنقذ.

ولأنَّ الانحدار بين قاعدتين: (حُسن الخَلق، وضرورة الارتقاء)؛ فهو باق ما دمنا باقين، وله الثلث في حياتنا من المورث انحدارًا؛ ولهذا فلا داعي للقلق بما أنّنا نرث الثلثين (خلقا وارتقاء)، ولكن هذا لا يعني أن نظل كمن ترك له أبوه إرثا ولم يستثمره؛ فانتهى صفرا.

ولأنَّ لكلّ قاعدة شذوذًا؛ فلا إمكانية لبلوغ الحلّ كمالا؛ فتلك الجهود عبر التّاريخ، وهذه الجهود، ستتلاقح ارتقاء بغاية إنتاج الفِكْر الممكِّن من إشباع الحاجات المتطوّرة.

ولأنّ الارتقاء رغبة وأمل؛ فسيظل أملا يسعى في الزّمن المستقبل نهوضًا، وهو لا يُمكن أن يلاحق إلّا بالعمل إنتاجًا وإعمارًا وبناءً وبحثًا علميًّا، مع الاهتمام بالقيم التي تنال التقدير من النّاس.

إنَّ التفكّر في المستقبل يمثل الامتداد الطبيعي للحياة من ماضيها وحاضرها، وله أهمية كبيرة في البناء المرتقب الذي يكون من ورائه امتدادات مختلفة تتّجه بحسب الإستراتيجية التي وضعت له اللبنات الأولى؛ فالمستقبل يعدّ الأرضية الجديدة التي يُؤسّس من خلالها كلّ ما هو مطلوب ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، وبذلك يكون التفكّر عنصرا مهمّا في خلق مستقبل موافق لكلّ التوجهات التي تسعى إلى المضي قدمًا نحو التفاضل والوصول إلى الدّرجة التي تكون إخافتها حاصلة، ودون وجود مخيف يمكن أن يماثلها أو أن يكون ندّا لها.

ولا يكون التفكّر منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما، ويمثلان له قاعدة للتأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في المستقبل؛ فالمستقبل لا يمكن بناؤه دون النّظر إلى امتداداته الحاصلة التي يكون الانطلاق منها حاصلا في كلّ التوجهات، وتكون التوجهات المختلفة منتمية إلى جذور تمدّها بما يسمح لها بالسعي إلى إيجاد حلول واضحة المعالم، فلا يكون هنا أيُّ انكفاء، بل تكون الأمور عامّة سائرة نحو تشابك منظم يكون من ورائه وجود تبعات تبحث لها عن رؤى تفاعليَّة تثري التفكّر وتمنحه أبعادا مختلفة ومهمة، وهنا يكون الإيضاح سمة مطلوبة؛ كي يكون الاتساع المرافق ملبّيًا للإدراكات الحاصلة، فتحصل بذلك شموليَّة مطلوبة تطرح التواصل الذي يكون من ورائه تحقّق التفكّر.

ومع ذلك فالمستقبل يكتنفه في بعض الأحيان غموضٌ معيّنٌ يسير في مدارات قد تبدو للوهلة الأولى غير منضبطة وفق الرؤيا المطروحة، وهنا يكون الاستشراف حالة ملبّية لكثير من الطموحات وحتى التداعيات التي تخلف انفراجا وإن كان وقتيا إلّا أنّه قد يكون سببا في حلّ كثيرٍ من المتعلقات المفترضة، كما

أنّ التشكيل العام لهذه الرّؤى يكون مطويًّا خلف إزاحات دائمة تريد أن تجد لها مكانا بين الحضور الحاصل، إلّا أنّ مكمنها قد لا يبدو واضحا نتيجة البعثرة التي تحصل في بعض الأحيان، وهنا تنبري لنا مسألة مهمة ألا وهي التنظيم المطلوب ضمن هذه الصيرورة؛ إذ يحتّم المكوث عند هذا التنظيم وجعله منهجًا يكمن فيه التحقّق المطلوب، ويكون الحذر حاضرا في هذا التنظيم بطرق متباينة؛ فالحذر يقف عند كلّ النقاط المهمّة التي يكون من ورائها الوصول إلى الامتدادات المستقبليّة المطلوبة؛ فتكون الآليات المطروحة تسير وفق اتجاه يكتنفه الحذر وفق كلّ التفصيلات المتاحة، وهذا الأمر يسهم بشكلٍ أو بآخر في إيجاد نتائج واضحة المعالم يُرى فيها معالم الحذر في كافة جوانبها؛ فيكون الظهور المتحقّق وفق هذا التفكّر ملبيا للبداية التي سبق لها وأن طرحت؛ كي يصل التفكّر إلى هذه المرحلة وما بعدها ارتقاء.

وينفتح الحذر على كلّ الأزمنة، وهذا من باب الاتساع المطلوب؛ كي تكون الصورة المطلوبة واضحة وملبّية لكلّ التغايرات التي يمكن أن تحصل، فالارتباط المطلوب يغرس في كلّ خطوة من الخطوات اتكاءات جديدة يكون مبعثها متزامنا مع التفصيلات التي يكمن فيها الحذر من أجل تحقيق مستقبل أفضل، وهذا يسير بوتيرة إفضائية تتحكّم بشكلٍ ينمّ عن وجود ارتباط فعلي بين هذه الامتدادات الثلاثة؛ ولأنَّ النّهاية مفتوحة سيبقى الحذر مفتوحا ولا يتقيد بأيّ قيد يمكن أن يكفّه عن تحقيق فاعليته؛ فالنّهاية المفتوحة تكون حافزا على خلق استمرارية في البحث تتّجه دائما نحو شمولية يتّسع مداها؛ كي تكون متجاوزة لكلّ الأساليب التقليدية التي تكتفي بالبقاء عند عتبات تجد أنّها تمثّل النّهاية التي يجب أن تكون، وهذا الأمر بطبيعته مخالفٌ للحياة التي نعيشها؛ فهي

قائمة على استنهاض مستمر، وبحث مستمر والأمل لا يفارق، فالتوقّف أو الانكفاء سمة تشير إلى وجود خلخلة وبعثرة حقيقية في التفكير؛ لأنَّ البقاء ضمن هذه الأطر يخلق ارتباكا وفوضى معرفية لا تكون نتائجها محمودة أبدا، وفي المقابل تفطين الذاكرة لاحتواء ما يُنتج عبر الزّمن ماضيا وحاضرا يقود بسلام إلى تطلّع مأمول لا يتحقّق إلّا بالعمل في دائرة الممكن مستقبلا.

ونحن إذ نشير إلى هذا التعالق فهو من باب أنّ التفكّر لا يمكن له أن يكون سائرا بالاتجاه الصحيح دون أن تكون له قاعدة يتكئ عليها، تمدّه بكلّ ما يمنحه من امتدادات مختلفة، سواء أكانت نظرية أم عملية؛ فتوجه الحذر يكون متماشيا مع هذه الامتدادات؛ كونها تتوافق معه فيسمح لها بالمثول عند أيّ ارتكاز تريده.

وعليه يكون التفكّر واقعا ضمن دوائر متعدّدة تكون حاضنة له، فتمنحه كلّ ما من شأنه أن يحقّقه، وإن كان الأمر ضمن دفعات تتابعية إلا أنّه لا يخلو من إرهاصات قد تكون موجودة بشكلّ لا يكون من ورائها انزياحات كبيرة، وهنا يكون الحذر من أجل صناعة المستقبل المأمول متغلغلا في كلّ الجوانب التي تريد أن تقف عند أعتاب كلّ التشكيلات التي يكون من ورائها البناء المطلوب؛ لأنّ هذه الصّفة بلزوميتها تواكب الحاصل الذي لا يسير معها، بل هي تسير معه، وهنا تكون عظمة المرافقة التي تمنح التفكّر أبعادا مهمة تسهم بفاعلية كبيرة في خلق مستقبل غير مسبوق؛ لأنّ السّابق متحقّق بكلّ ما فيه أمام المستقبل الذي يسعى نحو التفاضل والتمايز، فتتحقّق بذلك الافتراقات التي تخلق بناءً مغايرا مبنيا على تشعبات استبطانية وجدت في الماضي والحاضر البداية التي لا يمكن أن تكون ثابتة، بل هي موجّةٌ نحو إيجاد البدائل أو إيجاد الجديد الذي

يكمن فيه التغاير والتباعد عن نقاط الالتقاء التي تكون ملبّية للتساوي الذي يجب ألا يكون.

إنَّ التفكّر في المستقبل يسير بالفكر الإنساني نحو إيجاد بدائل يكمن فيها النّهوض المأمول الذي يمنح النّاس جميعا حياة أفضل، لكن هذا الأمر لا يتحقّق للجميع ؛كونه يرتبط بأخذ الحيطة والحذر؛ فالمخاوف بسمتها الإيجابية المفقودة يكون الرّكون إليها متفاوتا، وهذا ناتجٌ عن الإدراك غير الواعي بالحقيقة الموجودة؛ فالخوف لم يكن سلبيًّا على مدار الوجود الإنساني، بل كان حافزًا مهمّا في المعالجة والوقاية ودرء المخاطر في أوقات مختلفة؛ فهو يشير دائمًا إلى وجود خروقات طبيعية وغير طبيعة، تخرج عن نطاق المتعارف أو الطبيعي الذي يجب أن يكون؛ فهو بذلك منبّه من الدّرجة التي يكون استشعاره باعثا على إيجاد كلّ ما من شأنه أن يدفع بالمتغيرات الحاصلة التي ظهرت منها المخاطر نحو حدود جديدة يكمن فيها الدرء المنشود من أجل بلوغ مستقبل أنفع، وهذا الحال حين يكون تحقّقه مستمرا يمنح الإنسان وعيا مستمرا أيضًا، ذلك أنَّ تكرار المنبهات يحيل إلى زيادة في الوعي المتحقّق؛ فيكون الخزين العام منساقا نحو هذه الزيادة التي يُرى فيها إضافات جديدة على المساحة الفكرية المطروحة؛ فيكون الاغتناء الفكري قد وجد له تمويلا مستمرا يمنحه ما يشاء، وبتفصيلات تلهمه المتابعة التي يجد فيها كلّ ما هو جديد وكلّ ما هو بديل للحاصل[39].

وعليه:

[39] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 131 . 135.

لا يمكن أن يُصنع المستقبل إلّا بالتفكّر؛ ولهذا فعلينا به تخطيطا، مع السّماح للبحاث بالتفكّر حتى بلوغ الخوارق، وبلوغ المعرفة التي تمكّن من معرفة المستحيل مستحيلًا، ومن معرفة المعجز معجزا، ومن معرفة الممكن ممكنا حتى وإن كان غير متوقّعٍ؛ ولذا فصناعة المستقبل المأمول تمكّن من معرفة المجهول وكشف خفاياه.

ولأنّ الحياة من أجل المستقبل؛ فنحن بنو آدم نتعلّم، ونبحث عن فرص عمل، ونتزوج، ونصادق من يصادقنا، وعندما نتعرّض لسوء التكيف قد نُطلِّقُ عند الضّرورة، وعندما تقوى علاقاتنا نُشرّع، ونسنّ القوانين والنّظم، ونحدّد الأهداف ونرسم الخطط، ونتطلّع بأمل إلى المستقبل القريب والبعيد؛ ولهذا نصوم ونصلي من أجل نيل المستقبل جنّة.

ولذا فالقاعدة هي:

العيش من أجل المستقبل.

والاستثناء هو:

العيش من أجل الآن.

صُنع المستقبل أمل:

المستقبل إذا تمّ قصوره على الزّمن فهو لا يُصنع، ولكن إن نُظر إليه سعة يمكن أن تملى بما هو مأمول ليتم العمل من أجله قبل بلوغه فإنّه بالتأكيد سيكون قابلًا لأن يُصنع عملًا ومعرفةً وتخطيطًا وأخذ حيطة وحذر.

ومع أنّ الإنسان ارتقاء خُلق مسيّرا في أحسن تقويم، لكنّه اختيار انحدر في غفلة حتى أصبح أقل شأنا عمّا خُلق عليه، وعندما لامس القاع سُفليّة أخلاقية أخذته الصّحوة والحيرة تملأ نفسه ندما؛ فاستغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه، ولكن لم يتمّ ذلك إلّا بعد نفاذ الأمر وهو الهبوط به والأرض أرضا، ومن هنا أصبحت تلك الحياة الخَلقية، التي خُلق فيها الإنسان الأوّل (آدم) جنّة لم تفارق عقله، وظلّ يأملها؛ حتى جاءت الاستجابة حافظة لأمله في العودة إليها ارتقاء.

فبعد أن كان آدم قد خُلق على الارتقاء خلقا، أصبح الارتقاء بالنّسبة إليه مجرّد أملٍ، ومع ذلك فالأمل لا يتحقّق إلّا عملا؛ فمن عمل من أجله بلغ مأموله، ومن لم يعمل؛ فلا ارتقاء.

ومع أنّ الأمل بالنّسبة إلى بني آدم يرتبط بالمستقبل، ولكنّه بالنّسبة إلى آدم مرتبط بذلك الماضي الذي كانت فيه الأرض والسّماوات رتقا؛ ولهذا فالأمل بالنّسبة إلى آدم هو العودة إلى تلك الجنّة التي فقدت في لحظة غفلة.

ومن هنا؛ فالأمل مع أنّه من حيث المفهوم واحد، فإنّه من حيث الدّلالة ليس كذلك؛ ولذا وجب التفكير في الزّمن وضبطه بين ماضٍ لن يعود، وماضٍ يأمله آدم وبنوه الذين يعتقدون أنّ الجنّة حقيقة على قيد الوجود؛ فتلك الجنّة التي خُلق فيها آدم وزوجه قبل أن تُفتق الأرض من السّماوات، ظلّت هناك في علوٍّ، أمّا الأمل فظل منقطعا على الأرض التي أهبط بها ومن عليها من المختلفين والمتخالفين دُنيا.

وعليه:

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى يصبح أملا يشبع رغبة مرضية ولا تكون على حساب الغير.

. جمّع قواك العقلية والفكرية وخطّط بما يمكّنك من تفادي الصّعاب وأنت تعمل من أجل بلوغ المأمول.

. حشّد الإمكانات وعدّ العدّة المناسبة لبلوغ المأمول.

. انزع التردّد من نفسك وتقدّم قوّة تصنع المستقبل.

. استعن بمن يمدّك قوّة تُسهم في اختصار الزّمن وتقليل الخسائر.

. اعرف أنّك كلّما أنجزت هدفا، وجب عليك تحديد أهداف أخرى أكثر أهمية حتى تحدث النُّقلة إلى الأفضل المرتقب.

ولهذا فالارتقاء قمّة، هو: ما يُمكّن بني آدم من العيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزائلة)، وما يُمكنّهم من العيش السّعيد في الحياة العلّيا (الباقية)؛ فبنو آدم لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أمل عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة؛ ومن هنا فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاء.

فالإنسان ينبغي أن يعيش والأمل لا يفارقه، فإن فارقه الأمل فلا معنى للحياة؛ فالله خلق أبانا آدم في النّعيم ليعيش وبنيه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزائلة (الحياة المنقوصة) حيث الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعة وارتقاء.

ولذلك ظلّ آدم وزوجه على الرّفعة الخلقيّة حتى أقدما على عمل المعصية؛ فانحدرا هبوطا من تلك الجنّة على الأرض الدّنيا، التي جُرِّدت من الصّفات التي كانت عليها عُليا.

ومن هنا، أصبح الصّعود للقمّة مطلبا وأملا لمن فقد تلك المكانة، وبقي الخَلق الحَسن على ما هو عليه حُسنا، ولكن الأخلاق أصبحت على الاهتزاز تتبدّل من حَسنٍ إلى سيء، وكذلك من سيء إلى حَسن؛ {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[40]. فآدم وزوجه شاءا أن يؤمنا وأمل العودة إلى تلك الجنّة لم يفارقهما، ولكن بنيهما اختلفوا، بل تخالفوا على ما يؤدّي إلى الارتقاء، وما يؤدّي إلى الدّونية، حتى بلغ الاقتتال بينهم أشدّه؛ ومع ذلك فالإصلاح بين المختلفين والمتخالفين لم ينقطع، وكذلك العفو والصفح ظلّا جنبًا إلى جنب مع القصاص الحقّ.

فالإنسان ينبغي أن يعمل والأمل لا يفارقه، وعليه أن يعرف أنّ العمل ارتقاء وحده يطوي الهوة بين الأمل وصاحبه، وبين الحاجة المتطوّرة ومشبعاتها المتنوّعة.

ومع أنّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، فإنّه قد خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارا يأمل الارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفلية؛ فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام، ولكن الأمر لم يعدّ هينا؛ حيث لا عودة إلّا بالعمل الصّالح الممكّن من الارتقاء إلى تلك القمّة التي أصبحت أمل آدم بعد أن كانت بين يديه.

---

[40] الكهف: 29.

فآدم بعد أن خسر تلك المكانة القمّة، عمل على الارتقاء إليها ثانية، ولكن ظل الارتقاء إلى تلك القمّة من قِبل بني آدم أملا وعملا؛ فمن يعمل صالحا يقترب منها، ومن يعمل باطلا يبتعد عنها؛ فالإنسان الذي خُلق على الارتقاء بداية، ثمّ انحدر عنه إرادة وشهوة، أصبح ثانية يسعى إلى العودة إلى القمّة، وهو يأمل أن تُرتق الأرض بالسّماء؛ حتى يرى بأمّ عينه ما يأمله ارتقاء.

وعليه:

. كلّما تكتشف أنّك على شيء من الخطأ؛ فاعرف أنّ معلومات خاطئة قد علقت بك؛ فتخلّص منها، وصحّح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة ولا تتردّد.

. الخُلق وحده يمكّنك من الصّمود الموجب، وانعدامه يجعلك في سُفليَّة؛ فعليك بالخُلق ولا تفارق.

. الأخلاق تجعلك على الارتقاء وتمكّنك من بلوغ ما هو أكثر رُقيًّا.

. ثق في نفسك إن أردت التحدّي، ولا تلتفت لمن يريد إغواءك عثرة من بعد عثرة.

. اعمل والأمل لا يفارقك؛ فالإنسان بلا أمل لا فرق بينه وبين من خُلق في دونية.

. ضع الدّروس نصب عينيك؛ ولا تنس ذلك الدّرس الذي تركه لنا أبونا آدم عليه السّلام؛ فهو بعد أن عصى ربّه بأسباب الأكل من المنهي عنه، عرف إنّ ما يُنهى عنه لا يكون إلّا مخالفا للفطرة الخلقيّة (في غير مرضاة الخالق)، أي:

أنّ المنهي عنه لا يكون إلّا لضررٍ، سواء أكان نفسيا، أم صحيّا، أم خُلقيّا؛ فآدم بعد أن أكل من تلك الشّجرة المنهي عن الأكل من ثمارها ندم وتألم، وظل على ما ألمّ به من ندمٍ وألمٍ حتّى غفر الله له ذنبه؛ ومع ذلك صدر عليه حكم الهبوط من الجنّة ارتقاء، إلى الحياة الدُّنيا على الأرض الدُّنيا.

ولذلك فبأفعال المخالفة والمعصية يُستشعرُ الذّنب؛ فيولد النّدم والألم في نفس من يأمل الارتقاء عمّا وقع فيه من معصيّة، ومن ثمّ ليس للإنسان إلّا أن يلتفت إلى نفسه استغفارا وتوبة تخرجه من التأزّم إلى الانفراج، وتعيده إلى حيثما يجب أن يكون عليه ارتقاء؛ فآدم بعد الهبوط على الأرض الدّنيا لم يظلّ له أمل سوى أمل العودة إلى تلك الجنّة التي خسرها بعلل الشّهوة والرّغبة والإرادة.

ومع أنّ الزّمن في أذهاننا مقسّمٌ بين ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ، فإنَّ التفكير تدبّرًا في الوقت الآن لا يمكن أن يفصل مستقبل آدم المأمول عمّا نشأ فيه يقينا؛ ولذلك فالزّمن الحاضر كما يربطنا بما جرى ارتقاء؛ فهو يربطنا بما نأمل الارتقاء إليه، سواء أكان المأمول قد حدث في الماضي، أم أنّه سيعود إلينا ثانية.

ومع أنَّ خلق آدم وزوجه كان خلق قمّة في أحسن تقويم، فإنّ آدم وزوجه انحدرا عن تلك القمّة باختيارهما، ومع ذلك عندما عرفا أنّ العلّة قد ألمت بهما وكانت من وراء انحدارهما هبوطا دونيّا، ندما واستغفرا لذنبهما؛ فتاب الله عليهما، ومن هنا، نشأ لديهما أمل العودة إلى تلك القمّة الماضية وهي بالنّسبة إليهما الأمل المفقود، ولكنّ هذا الأمل المفقود لا يمكن أن يبلغ إلّا بالعمل ارتقاء.

وهنا يتداخل الزّمن؛ فما يأمله آدم وبنوه المصلحون هو تلك الجنّة التي خُلق فيها آدم وزوجه، ولكن كيف تكون تلك الجنّة هي الماضي، وتكون هي المأمول ذاته في المستقبل؟

أقول:

الجنّة خُلقت وجودا في الكون المرتق حيث لا وجود للأيّام، بل هناك اليوم الواحد (اليوم الآخر) الذي لا وجود للظُّلمة فيه، حيث لا مجال للشّروق والغروب؛ ولأنّه كذلك فلا وجود للماضي والمستقبل، بل الوجود للحاضر، ولا شيء غيره.

فالمخلوق عندما ينتهي من الوجود الحي، ليس له من الأيّام إلّا الزّمن الحاضر، وكذلك عندما يُبعث حيّا لن يجد شيئًا مسجّلًا إلّا في الزّمن الحاضر الذي وحده سيكون الشّاهد الأوّل على الأعمال ثقيلها وخفيفها.

ولذلك فكلّ حياة الإنسان هي زمنٌ حاضرٌ، وكلّ ما يعمله الإنسان فيها ويتمّ استدعائه من الذاكرة لا يكون إلّا حاضرًا في الزّمن الحاضر، أي: كلّ شيء يُفعل أو يُعمل لا بدّ أن تسجله الحياة في صفحاتها حاضرا.

فالزّمن دائرة، نقطة بدايتها تتمثّل في كلّ نقطة من نقاطها المتّصلة، التي عندما يوضع الأصبع على أيّ منها تعدّ هي مركز منتصفها، وفي الوقت ذاته تعدّ نقطة نهايتها، وهنا يعدّ الزّمن كلّه حاضرا، أمّا الأعمال في الزّمن فهي الشّاهدة على من يقوم بها؛ ولهذا يموت العاملون وتبقى أعمالهم حاضرة حيث لا وجود لماض يقبرها، بل الماضي يحفظها حاضرًا.

ولهذا فالآمال هي ما يحتويه الزّمن كلّه؛ فلا تقصر أمالك على المستقبل وحده؛ فهناك من الآمال ما قد أنجز، ممّا يستوجب الأخذ به عبرة وموعظة، أو العودة إليه كنزًا لا يفنى.

وعندما تتاح لك فرص الاختيار فلا تتسرّع، وكذلك لا ينبغي أن تتأخر؛ فلكلّ حسابه؛ فلا تغفل.

وعليك أن تعرف أنّ زمن تحديد الأهداف ليس زمن حصاد نتائجها، فزمنها زمن الزراعة والبذر؛ ولذلك فالنّاس يحدّدون أهدافهم، ثمّ يعملون على إنجازها وبلوغ الغاية التي من ورائها، مع العلم أنّ الزّمن بين تحديدها وبلوغها يحتاج إلى أعوام، وهذا يعني: أنّ زمن تحديد الأهداف لم يكن هو زمن تحقيقها ولا تحقيق الغاية التي من ورائها، مع أنّ الزّمن الذي حُدّدت فيه قد أصبح ماضيًا، وهو في ذات الوقت بالنّسبة إلى إنجازها أو بلوغها لا يعدّ إلّا مستقبلًا.

ومن ثمّ؛ فتلك الجنّة بمقاييس زماننا هي ماضٍ، ولكن إن سلّمنا بذلك، ألا يعني أنّ الماضي سيظل ماضيًا ولن يعود؟ وإذا كان كذلك؛ فلا أمل فيه، ممّا يجعل التسليم به، وكأنّنا نقول: لا وجود للجنّة في المستقبل.

ولهذا فمن يعمل، ثمّ يزدد نموّا وارتقاء؛ فلن يبلغ جنّة غير تلك الجنّة التي هي حاضر آدم وزوجه، وهنا نقول:

إنّ الماضي المأمول هو المستقبل بعينه؛ فمن شاء بلوغه فليعمل على مستقبل يربطه بالماضي ارتقاء، ولكن هذا لا يعني الاجترار، ولا يعني الالتفات إلى الوراء، بل يعني: التقدّم تجاه المأمول نشوء وإبداعا منتجًا لكلّ جديد مفيد

يرتقي بالنّاس إلى تلك الجنّة، وحيث ذلك الماضي الذي خُلقت فيه الأزواج، والتي كان آدم وزوجه على رأسها في أحسن تقويم قمّة.

فالزّمن متصّل بلا فواصل، وما يسمّى بالماضي والحاضر والمستقبل، لا يزيد عن كونه فواصل من عندنا، وليس من عند الزّمن؛ فالزّمن هو الزّمن حاضرا، ولكن الأحداث التي تقع فيه تفصل بينها الأيّام التي بها تُعدّ السّنين، وفيها تُصنّف الأعمال بين من ثقلت موازينه من أجل العودة إلى تلك الجنّة أملا وارتقاء، ومن خفّت موازنه انحدارا؛ حيث لا أمل له في ماضٍ لم يأمله مستقبلًا.

ولذا؛ فَخَلق الكون مُرتقا، ونشوء آدم وزوجه فيه ارتقاء، ثمّ انحدارهما منه والأرض هبوطًا، لا يلغي في دائرة الممكن أمل العودة إلى ذلك الكون متى ما تمّ رتقه كما كان أوّل مرة: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ}41.

يُفهم من هذه الآية أنّ الخَلقَ والنشوء قد أوجدا كونًا أوّلا (كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)، ثمّ أصبح الارتقاء فرصة؛ ولأنّه فرصة فلا ينبغي أن تضيع من أيدي من سُنحت لهم؛ ولهذا فأوّل المغتنمين لها استغفارًا وتوبة كان آدم عليه السّلام؛ فتاب الله عليه بأمل العودة إلى حيثما كان عليه قمّة.

وبما أنَّ الارتقاء لا يكون إلّا حيثما توجد القمّة المأمولة؛ إذن فلا ارتقاء إلّا إلى حيثما هي كائنة، ولأنّها قمّة كائنة وجودا؛ فهي وجود سابق على من يرغبها أملا لاحقا؛ ومن هنا فالزّمن ليس هو ما نأمله، بل الذي نأمله ما يحتويه

[41] العنكبوت 20.

الزّمن وجودا؛ ولذلك فالزّمن هو الزّمن، فحيثما كان الماضي يكون المستقبل حاضرا.

ومن ثمّ فالأهداف التي تصاغ في خِطّة بحثية في الزّمن الحاضر هي الأهداف المأمول إنجازها في الزّمن المستقبل الذي يوم أن تنجز فيه يكون هو الشّاهد (الحاضر) على إنجازها، كما كان هو الشّاهد حضورًا يوم تحديدها وصياغتها.

ولأنّ النّشوء في دائرة الممكن ارتقاء يُمكّن من بلوغ الغايات؛ فالمزيد من التّأهب إليه يُسرّع بحركة إحداث النُّقلة مع تسارع امتداد الكون إلى النّهاية؛ ولهذا لن تستطيع تلك الأنظمة المعيقة للارتقاء أن تصمد أمام التسارع ارتقاء تجاه إحداث النُّقلة المأمولة، بل كلّ الأنظمة التي رَكِب أصحابها المصاعد إلى الأسطح، ولم يضعوا في حسبانهم أنّه لا نزول إلّا من خلالها؛ فهم صَعدوها بلا سلالم، وبقوا هناك إلى أن أُسقِطَ بهم أرضا.

ومن هنا كان الفأر أكثر فطنة وذكاء من تلك القمم التي صعدت وبقيت هناك حتى أسقط بها أرضا في الزّمن غير المتوقّع؛ فالفأر ذات مرّة سُئل:

لماذا أيّها الفأر عندما تشعر بخطر تبدأ اللعب بذيلك؟

فقال:

ألا يكون من الأفضل لي أن ألعب بذيلي بدلًا من أنْ ألعب برأسي؛ فأنا عندما ألعب بذيلي أفكر، ولكن عندما ألعب برأسي يُلعب بي.

هكذا هي الرّؤوس بلا أمل يُلعب بها، وهكذا هي الفئران تفكّر؛ فتنجو؛ ولذلك فالعيش بلا أمل ممكن، ولكن لا حياة بلا أمل؛ ذلك لأنّ الحياة لا تكون إلّا والأمل يملؤها، أمّا العيش فلا فرق فيه بين حيوان وإنسان، ولكن ما هي الحياة الأمل؟ ومَن هو الإنسان الأمل؟

أقول:

الحياة الأمل هي التي لا يهدّدها الزّوال، وهذه لا تُبلغ إلّا إذا تجسّد الأمل عملًا محفّزًا بالرّغبة والإرادة؛ ولذا فمن يعمل من أجل بلوغها يصنع لنفسه أملا لا يموت حتى يورّثه لمن خلفه.

أمّا الإنسان الأمل؛ فهو الذي يولِّد من الفكرة فكرة تخرجه ومن معه من التأزّمات وتصنع لهم مستقبلا يحدث لهم نقلة تمكّنهم من عمل الخوارق؛ حتى يعرفوا أنّ المعجز معجزٌ.

ولذلك فالواعون دائما هم السبّاقون والمبادرون بصناعة الأمل الذي يقرِّبهم من رتق الأرض بالسّماء ارتقاء.

وعليه:

ـ فكّر فيما يجب قبل وجوبه؛ حتى تكون سبّاقا قبل غيرك.

ـ اعرف أنّ الأمل لم يكن غاية، بل الغاية بلوغ المأمول؛ فاعمل من أجله إن أردته حقيقة بين يديك.

ـ تحدَّ كلّ محيّرٍ حتى تتجاوزه معرفة، وتصبح السُّبل أمامك بلا عوائق ولا معيقين.

. اصنع أملًا فالأمل لا يصنع نفسه، ولا يأتيك من الغير، واعرف أنّ المسافة بينك وبينه وإن كانت بعيدة فهي غير مستحيلة.

. فكّر في نفسك حتى تستكشف نقاط ضعفها؛ لتتجاوزها قبل أن يشار إليك من الغير بما يمكن الإشارة به إليك إحراجًا.

. اعمل بحيويّة وتفاعل إن أردت القضاء على الملل المعيق لك من بلوغ المأمول.

. عرّف من لك علاقة بهم أنَّ الصّعوبات لا تصمد أمام الصّامدين في سبيل تحقيق آمالهم، وحفّزهم على التحدّي؛ ذلك لأنَّ قبول التحدّي لما يؤلم يمكّن من بلوغ ما يدخل البهجة.

. تجاوز بهم قصور التفكير عند المتوقّع رتابة إلى ذلك غير المتوقّع الذي تملأه الحيوية بما يرشد إليه من جديد أكثر وضوحا.

. لا تصدّق ما تسمع؛ فإنْ صدقت ما استمعت إليه وكأنّه المسلّمات فقد تقع في السُّفلية والدّونية كما وقع فيها أبونا آدم عليه السّلام حينما غرّر به إبليس؛ فكانت النتيجة مؤلمة (خروجه وزوجه من الجنّة).

. تأكّد أنّ وراء كلّ هدف أهدافًا أخرى لا يمكن أن تعرف إلّا بعد إنجاز ما قد حدّد هدفا.

. تأكّد أن وراء كلّ هدف من الأهداف التي تمّ تحديدها غرضًا ووراء كلّ غرض أغراض جديدة.

. تأكّد أنّ وراء الأغراض غايات، ووراء الغايات غايات أعظم منها؛ فلا تملّ ولا تقنط.

. تأكّد أن التقدّم خطوات فأسرع تقدّما دون التسرّع.

. اعمل على صناعة الأمل؛ فالأمل يصنع بلا يأس.

. تأكّد أنّك على القوّة، ولكن عليك بمعرفة أنّ قوّتك لن تخرج عن دائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع)؛ ولهذا فلا إطلاق لقوتك، ومن هنا يكون الضّعف والوهن، ومن هنا يجب الاستعانة بالغير؛ لاستمداد أفعال القوّة الممكّنة من إنجاز ما يفوق القوّة الفردية؛ ولذلك فالآمال العظام تحتاج لتكاتف الجهود، ولا استغراب.

. الأمل دائما لا يتحقّق إلّا بتهيؤ الآملين (تهيؤ نفسيا وعقليا وبدنيا وصحة وتعليما وتأهيلا وتدريبا؛ فعليك بمزيد من ذلك إن أردت بلوغ آمال عريضة.

. اعرف أنّ الأمل لا يأتي إليك أبدا، بل الأمل تسعى إليه؛ فأسع فهو ممكن التحقّق، ولكن عملا.

. بلوغ المأمول يستوجب عدة وإعدادًا لها؛ فعليك بإعداد العُدة الممكّنة من بلوغ المأمول.

. الأمل يستوجب حوافز ودوافع؛ حتى لا يتسلّل الملل إلى العقل والقلب والنّفس البشرية، وخير الحوافر والدّوافع (الرّغبة)؛ حيث لا عمل ولا أمل بلا رغبة، ذلك لأنّ الأعمال والأمل من دونها تصبح أمنيات ليس إلّا؛ ولهذا فالأمنية

شيء لا يستوجب الإقدام عملًا، أمّا الأمل لا يكون إلّا والعمل أداته تخطيطا وتنفيذا مع وافر الرّغبة.

. الأمل عملا يستوجب الاستعداد إليه تأهّبا وعدة وإعدادًا ومن ثمّ استعدادٌ يُمكن الآمل من بلوغ أمله.

. الأمل يستوجب متأهّبا للإقدام على الفعل الممكن منه أملا، وذلك من خلال تنفيذ ما رسم من خطّة أو إستراتيجية قد أعدت من أجل بلوغه.

ولسائل أن يتساءل:

ألا تكون العلاقة بين الآملِ وأملهِ علاقة غاية؟

أقول: لا.

الأمل لا يزيد عن كونه شعورًا مرغوبًا، ولكنّه في حاجة لما يشبعه، أي: هناك علاقة بين الآمل وأمله، وهذا الأمر يجعل من الأمل حلقة وصل من دونه يكون اليأس هو ما تمتلئ به المسافة بين الآمل وما يمكن أن يكون له من آمال، ولذا؛ فإن حدث ذلك أصبح الفرد أو الجماعة في مراحل الأمنيات وليس في مرحلة الآمال.

إذن وجب الارتباط بين الآمِل والمأمول بأمل لا يأس في، ومن أراد مزيدًا من الآمال؛ فعليه بمنابعها؛ فهي لا تستمدّ إلّا منها إنّها الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة التي يرتضيها النّاس.

المستقبل تطلّعًا:

هو المستوى القيمي الذي يجعل الشّخصيَّة في حالة ميل من المستوى الذاتي إلى المستوى الموضوعي، ويجعل علاقاتها الاقتصادية علاقات مجتمعية لأجل خدمة الجميع دون تمييز أو تحيز، ولأنها تعتمد على التحليل المنطقي فإن الاكتشاف العلمي سيكون من مميزاتها الموضوعية والإبداعية؛ ولهذا فهي في حالة رغبة للعمل المنتج لأجل إبراز قدراتها المتميزة عن غيرها من العاملين أو المنتجين، ولأنّها شخصية متطلعة للمستقبل فإنّها تميل إلى التّعرف المباشر على التقنية، ولذلك لا تتأخر عن الاتصال؛ لأجل استعارة التقنية التي ترى فيها معطيات التّقدم ومبررات العصرنة، إنّها الشّخصيَّة المنسجمة القادرة على التوفيق بين ظروف المجتمع ومتغيرات الحداثة.

ولهذا فالشّخصيَّة المتطلعة هي التي تتطلّع لِما هو أفضل على مستوى الذّات ومستوى الآخر، والاعتدال في قول الحق منطق، الاعتراف به اعتراف بما ينبغي، وإنكاره إنكار للحقيقة، مع العلم أن إنكار الحقيقة لا يُلغيها، وعليه أن الشّخصيَّة المتطلِّعة هي التي تتمسّك بحقوقها وتمارسها، وتؤدّي واجباتها، وتتحمّل مسئولياتها، وتعترف بأن للآخرين ما يماثل ما لها. فهذه الشّخصيَّة تعيش حالة التقمّص؛ حيث تستعير شخصية الآخر وتسعى للذوبان فيها، بوصفها القدوة التي تعتقد إنّها الأفضل، وهذا يدلّ على أن الشّخصيَّة في حالة تطلّع لِما ينبغي أن يكون، وبالمنطق ينبغي على الإنسان أن يفكّر ويسعى لأن يكون على مستوى أفضل ارتقاء، وعندما يسعى لِما هو أفضل بالضّرورة سيجد نفسه في ظروف تمكّنه من الاختيار بإرادة، وهذه الظّروف تمكّنه أيضا من الاقتران بذاته ولا ينفصل عنها، سواء في حالة التمركز التّام أو في حالة التطلّع لِما ينبغي، هذه

هي الشّخصيَّة المتطلِّعة، التي تحتكم إلى المنطق عند كلّ تصرف، وتنتقي تصرفاتها وأفعالها حسب كلّ ظرف وكلّ حالة، ولا تعمم سلوكياتها في المواقف المختلفة، ومن صفاتها الإخلاص في أداء الواجبات والمهام المناطة بها، إنّها الشّخصيَّة التي توصف بذاتية تميل إلى الموضوعيّة؛ وذلك لإقبالها على ما يظهر الحقيقة، وحصرها للأهداف الممكنة التحقيق، وسعيها للإنجاز كمتوقّع منطقي. إنّها الشّخصيَّة التي تميل إلى المشاركة في الأحداث الموجبة، وتبتعد عن المبررات السّالبة، ومستوى لغتها الحوار الجامع، الذي لا يعتقد إلّا في الحُجَّة المقبولة بين أطراف الحوار.

إنّها الشّخصيَّة الاستنتاجيّة القادرة على الاستنباط المعرفي المجرد؛ حيث تلتجئ إلى التمييز بين المواضيع بمعطيات عقليّة أكثر من التجائها إلى التفسير المادّي المباشر؛ نتيجة لتجاوزها مستويات الذاتية الاجتماعيَّة، ولبلوغها مستويات ذاتية تميل إلى الموضوعية. تنتهج الأساليب العلمية في سلوكها المعرفي وتعتمد في أحكامها على المعايير التي تمكنها من التمييز المنطقي. إنَّها الشّخصيَّة الطموحة المتطلعة للأفضل والأجود، وترى أن التحصيل العلمي هو المؤدي إلى الوصول إلى ما هو أجود أو أفضل، فتبني كل طموحاتها على هذا المبرر القيمي.

تدعيم قيم التطلّع:

يعدّ تدعيم قيم التطّلع هدفًا بغاية صناعة المستقبل ويؤكّد على الآتي:

. تذليل الصّعاب.

. العمل البنّاء.

. التعاون ارتقاء.

. نضج الشخصيّة.

. التفاعل الاجتماعي.

. إدراك البيئة المحيطة.

. التطلّع للمستقبل.

. التفكير الحر وبكل إرادة.

. مواكبة حركة التغيّر الاجتماعي والإنساني.

. إشباع الحاجات المتطوّرة.

ومن ثمّ وجب على الواعين ارتقاء والمتخصّصين في ميادين الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشرية أن لا يغفلوا عن الآتي:

– تحريض أفراد المجتمع على العمل الممكِّن من تذليل الصّعوبات التي تعوقهم وتعرقلهم عن مواصلة تقدّمهم.

– تحفيز أفراد المجتمع على رفع مستوى معيشتهم إلى كلّ ما من شأنه أن يجعلهم قادرين على مواجهة الصُّعوبات، وقادرين على تحدّيها بأكثر قدرة حتى؛ يتمكَّنوا من البناء والإنجاز، ومن ثمّ بلوغ الغايات التي من ورائها.

. إسناد المجتمع بالخبرة والمشورة البنّاءة والتخطيط الناجح.

. تبني الأفكار التي تُحفّز على العمل البناء؛ من أجل مواكبة حركة التغير السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي هو في حالة حركة مع حركة الزّمن.

– حث مؤسّسات المجتمع وتنظيماته على تحسين الخدمات المقدمة للأفراد والجماعات والمجتمعات؛ من أجل تطوير مستوياتهم القيمية وإحداث التغيير المحقق للتفاعل البنّاء.

– تفطين الأفراد إلى أهمية التعاون المعزز للقوّة والمحقّق لما هو أفضل وأجود وأنفع.

– حث أفراد المجتمع على تبادل الخبرات بما يدفعهم لاستيعاب الجديد والمفيد المحقّق للرقي الاجتماعي والإنساني.

. حث أفراد المجتمع على العمل الذي من شأنه أن يُسهم في رفع مستوى معيشتهم.

. تبني الأفكار التي تؤدّي إلى تحسين الخدمات وما يستحدث من أساليب ميسّرة للعمل المنتج والمبدع.

. التعاون مع المؤسّسات؛ وذلك بتبادل الخبرات والتعرّف على كلّ جديد مفيد؛ تيسيرًا لعمليات الإنتاج والتأهيل وكذلك العلاج والإصلاح.

– توعية أفراد المجتمع من أجل تحقيق الشّخصيَّة الناضجة المستوعبة والمتمكّنة من تحقيق الأفضل.

– تمكين أفراد المجتمع من صنع المستقبل الأكثر فائدة؛ وذلك بتعزيز أهميّة الشّخصيَّة المتفاعلة المدركة لما هو لها، ولِما هو عليها.

. التعاون مع الخبراء في كل ما يفيد أفراد المجتمع وينهض بمستوياتهم الاجتماعيَّة والاقتصاديّة والسياسيّة والنفسيّة والذّوقيّة والثقافيّة.

. تحريض المسئولين على مواكبة حركة التغيّر الاجتماعي والعمل على تطوير مؤسّسات الدّولة على استيعاب الجديد المفيد والعمل على تطويره إلى الأفضل؛ حتى تعود المنافع على أفراد المجتمع وجماعاته.

. العمل على إحداث النُّقلة في الشّخصيات الأنانيّة أو الانسحابيّة أو حتى الذّاتية لجعلها شخصيات متطلعة، مع غرس روح الأمل في تحقيق المستوى الموضعي.

. العمل على رفع كفاءة الشّخصيَّة؛ لتكون ناضجة مدركة لما حولها.

. إشعار كلّ مفردة من مفردات المجتمع بأنّها قادرة على المشاركة والإسهام في صُنع المستقبل.

. التعامل مع الصّعوبات التي تواجه العملاء أو المجتمع وفق إستراتيجية مرسومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، وإشراك أفراد المجتمع في تنفيذها.

. التأكيد على أهمية الصّحة بالتوعية والإرشاد من أجل التكامل في سبيل أداء الوظائف الاجتماعيَّة، والعيش في بيئة نظيفة خالية من الأمراض والآفات.

. توعية أفراد المجتمع بأهميّة الاكتفاء الذّاتي والعمل من بعده على دفع الأفراد والجماعات على ما يُحفزهم على ضمان المستقبل الأفضل وفقا للحاجات المتطوّرة.

. إعداد البرامج الأدبية والترفيهية والعلمية والفكرية، وحث أفراد المجتمع على الانخراط في جماعات وتجمعات بشرية وفقا للرّغبة والاهتمام وتمكينهم من ممارسة المناشط المتنوّعة والمتعدّدة والأخذ بأيدي المتفوقين منهم والأكثر مهارة؛

لأجل رعايتهم والاهتمام بتنمية قدراتهم ومواهبهم؛ حتى يُسهموا في إحداث النُّقلة الاجتماعيَّة المواكبة لتغيرات العصر وطموحات المجتمع.

. حث أفراد المجتمع الذين يعمل الأخصائي الاجتماعي معهم على التفكير الحر الذي يمدهم بممارسة الحرّية بكل إرادة.

. دفع الأفراد والجماعات على مواكبة حركة التغيّر الاجتماعي والإنساني والتطلّع إلى ما يفيد وينفع.

. عقل الإنسان قوّة، فينبغي أن يُستثمر بلا تردّد، حتى إحداث النُّقلة؛ ولهذا لا يجب أن يستغرب الأفراد والجماعات والمجتمعات فكلّ شيء ممكن. الاستغراب يحدث فقط عندما لا يستثمر الإنسان القوّة التي وهبها الله إليه (العقل)؛ ولهذا في عصر العولمة أصبح أكبر سوق هو سوق بيع الفكرة وشرائها (الفكرة المنتجة لإحداث النُّقلة).

وعليه:

. حسّن من أساليب تعاملك مع الآخرين.

. اعمل على توفير خدمات أفضل وأهم من التي يقدّمها الآخرون.

. اجعل كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى ما هو أفضل وسيلة لتحقيق طموحاتك المتطوّرة.

.كن متعاونا وحفّز على التعاون وعلى تحسين المنتج وتجويده وعلى ترسيخ القيم والفضائل التي تهذب الأخلاق.

حسَّن أدائك.

. استثمر إمكاناتك.

. استثمر وقتك.

. طوّر أسلوبك.

. ضاعف جهدك.

. نمي قدراتك.

ادعم قيم التطلّع لديك؛ لتكون قادرا على الآتي:

. التحدي.

. الإنجاز.

. الإبداع.

. الابتكار.

. التطوير.

. دخول سوق المنافسة.

. صنع المستقبل.

صُنعُ المستقبل ارتقاء:

الارتقاء مكانة يُمكن أن يكون الإنسان عليها خَلقا، ويمكن أن يكون عليها قيمة لا تُبلغ إلّا بمزيد من الجهد العقلي والخُلقي، وفي المقابل هناك من يراه تطوّرا يطرأ على الكائنات الحيّة؛ فيغيّر حالتها من دُنيا إلى عُليا، من خلال ما يطرأ عليها من تغيّر في الجينات والسّمات؛ ولكنَّ الجينات الخَلقية لم تكن

نتاج تكيف بيئي حتى تتبدّل وتتغيّر مع تغيّر البيئات، بل هي خاصّيّة خَلقيّة تحافظ على الأجناس، حتى وإن بلغ الإنسان من العلم ما بلغه؛ فلا إمكانيّة له أن يغيّر الأجناس، وستظل الكائنات على ما هيّ عليه مختلفة، وإن لُعب بها جينيّا، ولكن تحسين وتجويد أنواعها أصبح في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع ارتقاء حتى النّهاية.

ولأنَّ الإنسان في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع؛ فهو مؤهّل لأن يرتقي إلى ما هو أفضل قيمة، ولأنّه كذلك فالأمل لا يفارقه؛ ولهذا فهو يبحث من أجل بلوغ القمّة التي لا تُبلغ إلّا بالمزيد العلمي والمعرفي، والعمل المنتج، وإصلاح ذات البين، وتحدي الصّعاب بكلّ ما يمكّن من قهرها.

فالكائنات التي يظنّ البعض أنّها متطوّرة، نعتقد أنّ التطوّر يستوجب إرادة تمكّن من اتخاذ قرار من وسط مجموعة بدائل، وهذه الخاصيّة غير متوافرة عند الكائنات التي لم تُخلق في أحسن تقويم؛ ولذلك فالكائنات قابلة لأن تتغيّر، وفقًا لقاعدة التكيّف بأسباب الضّرورة الطبيعية، وحتى إن دُرِّب منها ما دُرِّب أو عُلّم فهو لن يتطوّر كما هو حال الإنسان وارتقاؤه؛ فالإنسان خُلق متميّزًا بخصائص الارتقاء وصفاته التي لم تكن من خصائص بقية الكائنات وصفاتها.

ولذلك فالإنسان في دائرة الممكن ارتقاء يتذكّر ما يؤلم وما يفرح، ويؤهّل حاله عن تدبّر بما يمكّنه من العمل المنتج، وفي الوقت ذاته يفكّر في كيفيّة تمكّنه من بلوغ ما يجب أن يكون أفضل وأجود وأكثر ارتقاء.

ومع أنَّ الإنسان ارتقاء خُلق في أحسن تقويم، فإنّه بعلّة المعصية والشّهوة والرّغبة قد انحدر هبوطًا منذ خلقه الأوّل، ومع ذلك منذ تلك اللحظة التي قُبلت

فيها توبته، ظلّ آدم ومن بعده بنوه على الأمل في حاضرهم، ومع إنّه الأمل في الزّمن الحاضر، لكنّه يتعلّق ارتقاء بما هو ماضٍ (تلك الجنّة التي خُلق فيها آدم)، وهو ما لم يتحقّق بعد.

ولذلك فالتطوّر يمكن أن يكون خاضعا للمشاهدة مثل الإعمار وبناء الحضارات، وهذه من خاصيّة الإنسان التي لا يشاركه فيها غيره، ومن هنا، يُصبح الارتقاء في دائرة الممكن يستوجب بحثا علميّا مضنيا، وجهدا ينجز وفقا للأهداف المحدّدة والأغراض التي من ورائها والغايات المأمول بلوغها قمّة، وفي المقابل يمكن أن يكون التطوّر خاضعا للملاحظة مثل السّلوك وما يطرأ عليه من تغييرات مقصودة، وهذه تشترك فيها كلّ المخلوقات بما فيها من خُلق في أحسن تقويم.

فالإنسان في دائرة الممكن ارتقاؤه القيمي يُرسّخه قيمة في ذاته، قيمة تستوجب مزيدا من الاحترام والتقدير والاعتبار؛ وذلك بما يفسح له مجال العدل الممكّن من العلم، والعمل، والتملّك، والتمدّد إلى النّهاية دون أن يكون له تمدّدا على حساب الغير.

ومن هنا فالممكن ارتقاء هو المتاح تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا، وهو ما يمكن بلوغه قدرة واستطاعة، وهو ما لم يكن مستحيلا حتى وإن كان صعب التحقّق، وهو الذي ليس له وجودٌ لو لم يسبقه وجود خَلق ونشوء، ومع ذلك وجوده لا يعدّ إن لم يلاحق الخَلق والنشوء ارتقاء.

ولأنّه الممكِن ارتقاء فهو بين متوقّع وغير متوقّع؛ فالمتوقّع منه هو الذي بحدوثه لا تحدث المفاجأة، ولا الاستغراب، ولا توضع علامات التعجّب. أمّا

غير المتوقّع فهو الذي لا تتوافر معطيات حدوثه بين أيدي النَّاس، ومع ذلك يقع، ممّا يجعله في حالة تساوٍ نسبي مع المتوقّع في دائرة الممكن؛ ولذا إذا ما حدث غير المتوقّع حدثت المفاجأة أو التعجّب والاستغراب.

فغير المتوقّع يقع أو يحدث دون قراءات أو حسابات سابقة، أو نتيجة قصور في القراءات والحسابات السابقة على وقوعه، ممّا يجعله يقع (هو كما هو) إثباتا. ومن هنا ينبغي أن يتمَّ التعرُّف على غير المتوقّع وعلى علله ومسبّباته لاحقًا ليتمَّ التعرُّف على نقاط الغفلة أو القصور التي لم تؤخذ في الحسبان المتوقّع.

فالمتوقّع وغير المتوقّع متغيران رئيسان في دائرة الممكن، التي فيها تتساوى فرص ظهور كلّ منهما بنسبة ثابتة قدرها: (50%) والمتوقّع يمكن أن يكون سالبا، ويمكن أن يكون موجبا؛ فالموجب منه لا يكون إلّا وفقا لما هو مأمول، والذين لا يأخذون حذرهم يرسمون خططهم وسياساتهم وفقا لما هو موجب متوقّع، وكأنَّ الحياة لا تُحفُّ بالمخاطر، وكأنَّ العلائق بين النَّاس لا تُبنى إلّا على الصّدق فقط؛ ولذلك فهم دائمًا يفاجئون؛ كونهم لم يحدّدوا لغير المتوقّع موضعا.

وعليه:

ينبغي أن تُرسم الخطط والسياسات والإستراتيجيّات وفقا لدائرة الممكن التي تحتوي ما هو متوقّع موجبا وما هو متوقّع سالبا، وما هو غير متوقّع موجبا، وما وهو غير متوقّع سالبا.

وبما أنَّ الممكن ليس مستحيلا؛ فعلى الإنسان:

ـ أن يفكّر فيما يفكّر فيه قبل أن يقرّر ويعمل.

. أنْ يخطّط لما هو غير متوقّع مثلما يخطط للمتوقّع.

. أنْ يعمل ارتقاء بلا تردّد ولا يأس؛ حتى يُرتَقَ الممكن بالمستحيل قمّة.

. أنْ يقبل تحدّي الصّعاب؛ فالصّعاب تُقهر، ولا مستحيل في دائرة الممكن، ولا استغراب، بل الاستغراب أن لا يتمّ تحدّى الصّعاب التي تحول بين الإنسان وارتقاؤه قمّة.

وبالتّالي فمن يرسم الخطط والإستراتيجيَّات ويعدّ البرامج وفقا لِما هو متوقّع، عليه أن يعرف أنَّ ما يفكّر فيه معرّض لمواجهة غير المتوقّع، ممّا يلفت انتباهه إلى التفكير في غير المتوقّع بخطط بديلة تواجه ما يمكن مواجهته من مواقف أو أضرار أو مخاطر قد تحدث؛ ولذلك فالزّمن الحاضر هو زمن التخطيط والتدبّر والتذكّر والتفكّر، وهذا يعني: أنّ دائرة الممكن هي التي فيها ينصهر الزّمن حاضرا، أي: إنّ التذكّر الذي يرتبط بما هو ماضٍ، لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وكذلك التفكّر الذي يتعلّق أمره بما لم يتحقّق بعد لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وفي الوقت ذاته يتدبّر الإنسان أمره وكأنّه لا يعيش الزّمن إلّا حاضرا، أي: إنّ الذي يتذكّر في دائرة الممكن لا يجب أن ينظر لما يتمّ تذكّره من الماضي وكأنّه لن يتكرّر، بل ينبغي أن يره وكأنّه الآن يواجهه تحدٍّ، ممّا يجعله في وقته الحاضر متحدّيا له بحلولٍ حاسمة، وهكذا ينبغي أن يفكّر فيما يمكن أن يواجهه مغالبة؛ حتى لا يحدث وتحدث المفاجآت المؤلمة التي تؤدّي إلى الانتكاسة أو الانحدار، بدلا من أن تؤدّي إلى بلوغ القمّة ارتقاء.

فالممكن احتمالا يسبق ما يمكن أن يكون محتملا أو غير محتملٍ؛ ولهذا فلا يتحقّق الممكن إلّا في دائرة الحاضر، حتى وإن أصبح ذلك المتحقّق في دائرة

الزّمان مسجّلا؛ فالممكن المتوقّع وغير المتوقّع في زمنه الحاضر يسبق حدوث الفعل، ومن ثمّ يظل الممكن تحت الانتظار إلى أن يتحقّق أو لا يتحقّق، ومن هنا، يصبح للممكن مصادق تثبت حدوثه أو تبطل حدوثه.

فالممكن في زمنه الحاضر يُلاحق العبر والمواعظ، ويتزامن مع التدبّر، ويسبق المأمول حتى يتمّ بلوغه ارتقاء؛ ففي الزّمن الحاضر لا انتظار لشيء يعود إلّا استدعاء ذاكرة، ولا انتظار لشيء يأتي وهو لم يكن شيئا، ولا شيء يحدث إلّا في الزّمن الحاضر.

وبما أنَّ في دائرة الممكن لا وجود للمستحيل، إذًا فمن الممكن التفكير في المستحيل حتى معرفته مستحيلا، وعندها يدرك الإنسان أنّه في حاجة لمزيد من الارتقاء، ومع أنَّ الإنسان يتوقّع ما هو ممكنا، فإنَّه قد لا يستطيع تحقيقه بأسباب قصور قدرته ومحدودية إمكاناته، وعلى الرّغم من ذلك فعليه أن يعمل مع من يمكّنه من الارتقاء تحدٍّ؛ فالصّعاب لا تصمد أمام التحدّي.

ولهذا فالإنسان يتذكّر ويتدبّر ويفكّر في كلّ ما من شأنه أن يُظهر له ممكنا، ويمكّنه من إنجازه، أو تحقيقه بغرض الارتقاء إلى ما هو غاية.

وبما أنَّ كلّ شيء ممكنٌ؛ فلِمَ لا نفكّر فيه بلا قيود؟ حتى وإن وضعت عليه القيود علّة بأيّة علّة؛ فيجب أن تفكّ العلل مع القيود، ولكن إن لم تفكّ العلل والقيود فعلامات الاستفهام والاستغراب وأفعال المواجهة ستكون ارتقاء في الميادين والشّمس في كبد السّماء؛ ولذلك فالاستغراب يَحدث عندما يَحدث غير المتوقّع في الزّمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقّع، وهنا تكمن المفاجأة، التي لا تظهر إلّا بغفلة عمّا هو غير متوقّع.

وعليه فصُنع المستقبل ارتقاء يستوجب الآتي:

. دفع أفراد المجتمع إلى العمل المنتج الذي يُمكِّنهم من الوفرة التي تُسهِم في إشباع حاجاتهم الضّرورية؛ ليعيشوا حياة تعليميّة وصحيّة واقتصاديّة مُرضية.

. دفع الأفراد إلى ميادين العمل المنتج التي يتمكّنون فيها من إشباع حاجاتهم للمشرب والمأكل والملبس والتنقّل، وإلا سيظلون في عوزٍ ممّا يجعلهم بعيدين عن محققات الرّفاهيّة الاجتماعيَّة وصنع المستقبل ارتقاء.

. تفطين أفراد المجتمع إلى ما يؤدّي إلى إشباع الحاجات الضّرورية، وإلى ما يؤدّي من بعدها إلى إشباع الحاجات الكمالية المتطوِّرة.

. دفع أفراد المجتمع إلى زيادة الإنتاج؛ حيث الحاجات المتطوّرة التي تبحث عن مشبعات غير ثابتة، فما كان لا غير ضروري في الزّمن الماضي أصبح من الأولويات في هذا العصر، وهكذا هي الحاجات تتطوّر عبر العصور وستظل دائما على هذه الحالة ارتقاء.

. تفطين مؤسّسات المجتمع الخدمية والإنتاجية وهيئاته وشركاته لاستيعاب أفكار العاملين والمتعلمين والاستجابة لمطالبهم المتطوّرة ورغباتهم المتنوّعة مع حركة التغير والتطوّر الاجتماعي.

. تنظيم العلاقة بين رغبات العملاء وبين ظروفهم الاجتماعيَّة والاقتصادية، التي قد لا تمكِّنهم من بلوغ مشبعات رغباتهم ما لم يستثمروا كلّ ما لديهم من طاقات مع مضاعفة الجهد المبذول تجاه محقّقاتها.

. تفطين الأفراد من انغلاقهم داخل دائرة الذّات الاجتماعيَّة إلى الانفتاح على الآخرين، والتعرّف على ما يمتلكونه من منافع وعلوم وتقنية، وتعلمها والأخذ بأسبابها.

. تنمية روح الطموح والتّجدد لدي أفراد المجتمع؛ حتى يتطلّعوا إلى صناعة المستقبل الذي يمدّهم بأسباب بناء الذّات ودخولها ميادين المنافسة والإنتاج العلمي والبناء الحضاري.

. ترشيد الأفراد بما يؤدّي بهم إلى تنظيم حياتهم وتقدير ظروفهم في ضوء الظّروف المحيطة والمتطوِّرة؛ ليكوِّنوا علاقات موجبة معها؛ حتى يتمكّنوا من مواكبة حركة التطوّر والتغير الاجتماعي والإنساني في القرية الصّغيرة.

. استيعاب المتغيّرات الجديدة التي جعلت من العالم قرية صغيرة والترابط مع شبكاتها المعلوماتية لأخذ المزيد المعرفي من أجل تحقيق حياة إنسانية شاملة.

. تفطين أفراد المجتمع إلى أخذ ما هو نافع، وترك ما هو غير نافع؛ فالقرية الصّغيرة مملوءة بالجديد النّافع والجديد غير النّافع؛ فيجب التمييز قبل الإقدام.

. عدم الإغفال عن حقيقة مفادها: (أنّ الحياة بطبيعتها في حالة تطوّر) فلا داعي للغفلة.

. تفطين الأفراد إلى استثمار ما لديهم من إمكانات وطاقات والتطلّع إلى ما يفيد من قِبل الآخرين؛ حتى يتمكَّنوا من العيش برفاهية واستجمام.

. حث أفراد المجتمع على التطلّع لأخذ المفيد للحياة الاجتماعيَّة والاقتصادية والسياسية، والإسراع بهم إلى أخذ المزيد وتطويره.

. دفع الأفراد لمواكبة حاجاتهم المتطوِّرة، وعدم التأخر عن ممارسة ما من شأنه أن يُعجِّل من طي المسافات بين النقطة التي هم عليها، ومحققات الرّفاه الاجتماعي.

. التأكيد على أهمية بلوغ الجديد المفيد الذي يُعزز ثقة الأفراد بأنفسهم وبذواتهم الاجتماعيَّة، ويحقّق لهم أبعادًا إنسانية في المجالات الاقتصاديّة والسياسيّة والنفسيّة والذّوقيّة والثقافيّة.

. تحريض مؤسّسات المجتمع على اختيار المعروض الأجود، ممّا وصل إليه التقدّم العلمي والتقني، والإقدام على تطويره؛ فالقوّة المبدعة في العالم لن تنتظر وستواصل التقدّم والتطوّر؛ فعلى مؤسسات المجتمع وهيئاته وشركاته دخول ميادين السّباق العلمي وإلّا سيظل المجتمع قعيدا في مؤسّسات الرعاية الاجتماعيَّة؛ ذلك لأنَّ إشباع الحاجات ضرورة إنسانية؛ ولأن إشباع الحاجات ضرورة إنسانية، تأسست هيئات وجمعيات ومؤسسات دولية إنسانية؛ لتقديم المساعدة لمن هم في حاجة إليها، سواء دول بحالها أو جماعات منها.

ولذا تأتي المخاطر أو تظهر الإشكاليّات من فقدان مشبعات الحاجة المتطوّرة، ولا يتحقّق الأمن والاستقرار والرّضا الاجتماعي إلا بالإشباع؛ فالجوع والخوف والإكراه والانحرافات ذات علائق، وفي المقابل الإشباع والأمن والرضا هي الأخرى ذات علائق.

ولذا يستقرّ البلد باستقرار أمنه، وارتقاء اقتصاده، وشفافية نظامه، وقوّة إرادة شعبه، وهيبة مشبعات حاجاته؛ ولذلك فإشباع الحاجات ضرورة فطرية وغريزية.

إذن من باب الضرورة والوجوب لا مفر من إشباع الحاجات البشرية المتطوِّرة عبر الزّمن، ومن يُهمل أو يغفل عن ذلك يجد نفسه في حالة مواجهة مع الذين فقدوا مشبعات حاجاتهم.

وعليه فالقاعدة هي:

. تطوّر الحاجات.

. تطوّر المطالبة بها.

. تطوّر مشبعاتها.

. تطوّر أساليب الإشباع.

صُنع المستقبل العمل ارتقاء:

الارتقاء رفعة عن كلّ ما يؤدّي بأصحابه إلى السُّفليّة والدّونيّة، وهو الأخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيرة مع وافر التقدير والاحترام للأفراد والجماعات والمجتمعات والحضارات والثقافات والأديان، كما أنّه الممكّن من التوافق والاندماج الذي فيه الإنسان قيمة في ذاته؛ فلا يهان، ولا يقلل من شأنه، ولا يحرم من ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمْل مسئوليّاته. والارتقاء قد يكون بأسباب العلم والثقافة وحسن المعرفة وقد يكون نتاج التربية وتهذيب السلوك ومخافة الله.

والعمل ارتقاء هو الذي فيه تُتبع أساليب الاحترام والتقدير والاعتبار والتّفهم، وهو الذي به يتمّ الإنجاز أو الإنتاج دون أن يسود استغلالٌ للجهد الذي به أنجز العمل أو أنتج.

ولأنّ العمل ارتقاء هو المبدأ الذي ينبغي أن يُتّبع أو المنهج الذي يجب أن يؤخذ به؛ لذا فهو مكمن القيم الحميدة التي تحوّل العاملين من خانة المستهلكين إلى خانة المنتجين والمبدعين ومتحدّي الصّعاب.

فالعمل ارتقاء يستوجب كيفيّة وكميّة؛ كيفيّة من حيث الجودّة، وكميّة من حيث ما يشبع دون أن يكون هناك نقص.

إذن العمل ارتقاء يستوجب جهدا يبذل مع خالص النيّة، أي: لا عمل ولا إنتاج إلّا والجهد يبذل، والجهد هنا قد يكون فكريًّا وقد يكون عضليًّا، وقد يكون فنيًّا (خبرة ومهارة)، وهذه من مجوِّدات العمل ارتقاء؛ فلا ينبغي الإغفال عنها وعن أهميّتها وعن أدوار أصحابها، أي: يجب أن تقدّر أصحابها تقديرًا عاليًا؛ من حيث الحوافز والدّوافع وكلّ ما من شأنه يشجّع على المزيد أو يشجّع آخرين ليلتحقوا بخانة المبدعين المهرة.

العمل ارتقاء مسئوليّة لا يحملها إلّا من هو على دراية ومعرفة بما له وما عليه، أي: معرفة بما يجب ويتّبع، وما لا يجب ويجنّب أو يبتعد عنه، مع معرفة وافية بقوانين العمل وتشريعاته المهنة والوظيفة، وحمْل المسئوليّة حتى وإن كانت عبئًا جسيمًا.

وعليه:

ـ العمل ارتقاء لا يكون إلّا عن وعي ومعرفة ومسئوليّة.

ـ العمل ارتقاء لا يكون إلّا والأمل لا يفارق عقول المنتجين.

ـ العمل ارتقاء يحقّق الرّفعة الذّوقية.

. العمل ارتقاء يُحدث النُّقلة إلى الأجود والأنفع والأفيد.

. العمل ارتقاء احترام للمهنة.

. العمل ارتقاء حقّ ينبغي أن يمارس.

. العمل ارتقاء واجب ينبغي أن يؤدّى.

. العمل ارتقاء مسئولية يجب أن تُحمْل.

. العمل ارتقاء حُسن تدبّر ينبغي أن يقدّر.

. العمل ارتقاء نتاج تفكّر فيما يجب وأداؤه مهنيًّا.

. العمل ارتقاء تجاوز للكسل والاتكاليّة والطمع.

. العمل ارتقاء حسن أداء وجودة إنتاج.

إذن: الارتقاء رفعة وتقدّم تجاه ما هو أفضل وأجود وأنفع، ولا يكون الارتقاء إلّا ببذل الجهد وعن دراية مع سابق تخطيط وفقا للإمكانات الممكنة، ومن ثمّ فلا إمكانية للتقدّم ما لم تتوافر معطياته من بحث علمي وأخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيّرة مع طموح وغايات من ورائها نيل المأمولات العظيمة.

ولذلك فالكلمةُ مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوكٍ يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلّا العمل، ولكن أيّ عمل؟ إنّه العمل ارتقاء (بناء وإصلاحا وإعمارا مع ارتقاء الأخلاق قمّة)، والعمل ارتقاء هو إنشاء الشيء من الشيء، كما أنشأ نوح عليه السّلام سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذا.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلّا بالعمل؛ فَلِمَ لا يَقدِم المتأخّرون عنهم على العمل الممكّن من طي الهوة بينهم وبين المتقدِّمين الذين ارتقوا علما وتقنية وحُسن إدارة؟

ولأنّ الارتقاء لا يكون إلّا عملا؛ فينبغي على من يرغب ارتقاء أن يَقدِم على العمل النّافع، وينبغي أن يجوِّد منتجاته؛ لتكون منافسة لمنتجات الغي؛، ذلك لأنّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانا في أسواق المستهلكين.

وهذا يعني: إن لم تَقدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوّة المنتجة ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع النّادمين ندمٌ.

فالعمل ارتقاء يجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة؛ ولذا فمن رغب مكانة ويأمل تبوئها فعليه بالعمل المنتج، ويحرّض من تربطهم به علاقة على العمل؛ لتكون المكانة فردية وجماعية: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ}42. فالأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام جميعهم يعملون ويحرّضون النّاس على العمل، ويحبّون من يعمل من أجله وأجل من تربطه بهم علاقات: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}43.

وهكذا جميع الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام أرسلوا للنّاس من أجل الهداية والعمل ارتقاء؛ فكانت القيم الحميدة والفضائل الخيّرة جنبا إلى جنب مع

---

[42] الأنعام: 135.

[43] التوبة: 105.

الإصلاح والبناء والإعمار ارتقاء عبر التّاريخ؛ فالإنسان الأوّل الذي خُلق في الجنّة رأى الارتقاء بأمّ عينه، بل عاش الارتقاء حياة نعيم، ولكن بأسباب المخالفة والمعصية ارتكب خطأ فأخرج به هبوطا من الجنّة إلى الحياة الدّنيا، والتي من بعدها أصبح واضعًا نصب عينيه أمل العودة إلى تلك الجنّة، التي ضاعت من بين يديه وهو يتحسّر، بما أقدم عليه إرادة، حتى وإن كان بأسباب الإغواء، ولكن بعد أن استغفر ربّه، ظل يعمل من أجل العودة إلى ذلك العيش الرّغد الذي حُرم منه بما ارتكبه من فعل منهي عنه، ومع ذلك ساد الصّراع بين النّاس إلى يومنا هذا (بين من صدّق الرّسل ومن كذّبهم)؛ فمن صدّق الرّسل يأمل كما أمِلَ الإنسان الأوّل الارتقاء إلى الجنّة التي عاشها حياة فردوس، ومن لم يصدّق فلا يرى جنّة، وهنا تكمن العلّة.

وهكذا فالإنسان لم يقف عند ما يأمله، بل تجاوزه بالعمل حتى صعد إلى القمر الذي كان يعتقد أنّه الجنّة، ثم تجاوز القمر؛ كونه لم يكن كذلك، فغزى الفضاء اكتشافا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاء من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلّا بلوغ الجنّة، إنّها رسالة الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ فمن أخذ بها ارتقاء أخذ بما يجب الأخذ به، ومن لم يأخذ بها فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة المزيد.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء خَلقا، فإنّه لم يحافظ على ارتقائه؛ فأُهبط به من علوٍ إلى دنيا، ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء، ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حفّزه على العمل ودفعه إليه ارتقاء.

إنَّ الإنسان لو لم يكن مؤهلا للارتقاء، ما فكّر وتدبّر حتّى تمكّن من اقتناص الفكرة التي مكنته من غزو الفضاء وهو يأمل في المزيد ارتقاء؛ ولأنّ حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قِبله بالعمل المتطوّر تصبح ضاغطة عليه ألما شديدًا؛ فعليه بالعمل وتحدّي الصّعاب، ولا يخشى شيئًا سوى الحقّ الذي يمكّنه من التقدّم والنّهوض وتحقيق الرّفعة والمكانة قمّة.

ومن هنا فما بلغه الإنسان من ارتقاء علمي وثقافي وحضاري يؤسّس قاعدة عريضة للمزيد المعرفي الممكّن من الإصلاح والبناء وقبول التحدّي من أجل الأفضل والأفيد والأنفع والأرقى.

وعليه: فمن أراد أن يرتقي إلى المأمولات العظام فلا إمكانية له إلّا بذل الجهد والعمل، الذي له من الأهداف ما له، وله من الأغراض ما له، ومن وراء كلّ ذلك غايات تُبلغ، ومأمولات يتمّ نيلها أو الفوز بها؛ ولهذا فالارتقاء عملًا يحقّق:

. الرّفعة.

. تبوء المكانة.

. القدوة الحسنة.

. الاعتماد على الذّات.

. بلوغ الغايات.

. نيل المأمولات.

وعليه:

. تعلّم؛ حتى تجعل الجهل خلفك ولا فرصة له أن يلاحقك.

. اعمل؛ حتى ترتقي وتتبوأ المراكز المتقدّمة.

. تحدَّ؛ حتى تخلق لك مستقبلًا أفضل.

. اجعل المهنة وكأنّها الهواية وعن رغبة واشتياق.

. أتقن عملك؛ حتى يصبح لك هويّة.

. تطلّع إلى الأجود حتى وإن تمكّنت من أداء عملك ارتقاء.

. اعمل فلا قيمة لك إلّا بالعمل ارتقاء.

. الارتقاء لا سقف له؛ فلا تجعل من مستوى الجودة الذي بلغته مظلة لتجلس تحت ظلّها وكأنّها الغاية، بل عليك أن تعرف أنّ الجودة درجات سُلم يتمّ الصّعود عليها، ولا يتمّ الصعود إليها؛ ذلك لأنّ الوسيلة ليست الغاية ولا المأمول، ولأنّ السّلم وسيلة فلا تقف عنده وكأنّه المهم الذي لا شيء مهم من بعده.

ولهذا فعليك بالعمل، فالعمل الصالح كما يرضي القائمين به جهدا مبذولا فهو يرضي الله، ولكلّ جزاؤه: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}44، أي: لكلٍّ حسابه؛ فللعمل الراقي حسابه، وللعمل الواطي حسابة، ولا يظلم ربّكأحدًا: {نَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}45.

[44] الزلزلة 7 ، 8.

[45] النساء 40.

صُنع المستقبل تحدّي صعاب:

الصّعاب هي تلك الأعمال التي تستوجب مزيدًا من الجهد دون أن تكون مستحيلة التحقّق؛ فهي التي تواجه من يعمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها صبرا ومزيدا من الثبات وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف أو تحقيق الأغراض أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به؛ فلا مستحيل في دائرة الممكن، حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا وجب العمل على تذليل الصّعاب؛ كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصّعاب إن لم تداهم ارتقاء، لا بدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملا راقيا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاء، فإنَّه لا ارتقاء لخرق المستحيل، فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما على الرّغم من الصّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدَّي الصِّعاب) أمّا الاستثناء: (الاستسلام لها).

ولأنّ الممكن ارتقاء يُمكّن من تحدّي الصّعاب، فَلِمَ لا يتهيؤالإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه؛ ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر؛ فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

فالتهيّؤ في دائرة الممكن لتحدي الصّعاب ارتقاء يُمكّن من أداء العمل الموجب، وكذلك هو ارتقاء لمواجهة ما يمكن أن يكون من فعل سالب؛ فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل؛ فهي تُرسم لمقاومة المعيقين له، ومتى ما بلغ الإنسان التهيؤ إرادة، بلغ القناعة المحفّزة والدّافعة إلى تنفيذ العمل ومواجهة ما يعيقه من صعوبات؛ ولذلك فالذين يتهيّؤون إلى ارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكلّ قوّة، أمّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته؛ فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيدهم على الزّناد مرتعشة ، وهنا تكمن العلّة.

ومن تهيّأ واستعدَّ لتحدي الصّعاب وأقدم عليها ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيّره عن الاستمرار فيها، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا؛ فكلّما توافرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجية مثار الانتباه والاهتمام كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنْ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، ولكن إن لم يعقب التهيؤ استعدادٌ فلا إمكانية، حيث لا إرادة؛ ولذلك فإنّ غياب الإرادة يغيّب كلّ من التهيؤ

والاستعداد، ومن ثمّ تقوى درجة الاستعداد المترتّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما، وحينها لا إمكانية لتحدي الصّعاب، أي: لا تحدّي بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وإن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصّعاب فعليك بالآتي:

. أنْ لا تحصر التفكير في شئونك أو شئون الغير الذي تربطك به علاقة وأهمية على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبًا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيًا.

. اصّمد فالصّعب لا يصمد، أي عليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبًا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض؛ ولذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها، أي: لا يمكنك أن تهزم خصما وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية. ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك صلحا وتصالحا وعفوا: {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}46.

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، ولأنّها ممكنة فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

46 الأحزاب 25.

أقول:

لأنَّ البعض دائما أفضل من البعض، أي: دائمًا الواعون والصّابرون والمؤمنون بأنّ الحقّ يُحق يعملون على إحقاقه تحدّ وقهرٍ للباطل.

. الصّعب على علاقة بالباطل من حيث إنّه لا يصمد إذا ما حدثت معه المواجهة؛ ولذا الصعب يقهر والباطل يبطل، ولكن لا يكون ذلك إلّا على أيدي الصّامدين.

. أقبل بدفع الثمن جهدا ووقتا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرا.

. تحدَّ الخوف الذي يقنعك كسلا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد تجد نفسك منتجا، وفي المقابل إن استسلمت له فستجد نفسك متسولا مع المتسولين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحديا، وأهّب نفسك لمواجهة الصّعاب تجد الصّعاب مستسلمة.

فالتأهّب لتحدّي الصّعاب يؤجج في النّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء عن عزيمة بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنفِّد ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله تعالى.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذا؛ فمن يتأهّب لأداء الفعل الصّعب ارتقاء لا بدّ وأن يكون متأهّبا لما يترتّب عليه من ردّات فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجآت في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطة والحذر عند تحدّي الصّعاب ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير، ومن هنا، تصبح الغاية هي تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاحًا مساندًا.

ولذلك فالغاية من بعد الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، ولكنّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدّون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات غاية بعد أمل.

تجاوز الصّعاب بين ثابتٍ ومهتزٍّ:

الثّابت هو الذي يستمدّ القوّة من رغبة النّاس فيه، وتمسّكهم به قيمة أو مبدأ، أو فضيلة، أمّا المهتز فهو المتبدّل بتبدّل الرّغبة والإرادة والحاجة، ومن هنا ليس هينا أن يتمّ الاستغناء عمّا آلفته الشّعوب، أو سكن في قلوبهم، ومع ذلك إذا حدث ما حدث ليحول بينهم وبين ما آلفوه؛ فلن يمرّ حاله كما تمرّ السّحب، بل سيقبل البعض مواجهة المتحدي بتحدٍّ؛ ممّا يجعل الانكسار في أحد الأطراف وانهزامه؛ كونه لم يستطع مواجهة الصّعب.

وبطبيعة الأمر بالنّسبة إلى بني الإنسان كلّ شيء نسبي، أي: كلّ شيء ممكن، فحتى القيم ذات الثبات النسبي هي قابلة للتطوير والتغيير عبر الزّمن حتى وإن صمدت لوقت منه.

والقاعدة هي:

1 ـ فكّر في الثابت.

2 ـ فكّر في المهتز.

والاستثناء:

1 ـ عدم التفكير في الثابت.

2 ـ عدم التفكير في المهتز.

ولهذا لا فرق بين الثّبات والاهتزاز؛ من حيث أن كلًّا منهما نسبي.

والذي جعل كلًّا منهما على حالة من النسبية، هو التداخل بين الحركة والسّكون.

ولذا فالثّبات على حالة من الاهتزاز، والاهتزاز على حالة من الثّبوت، ولو لم يكن الثبات نسبيا ما تغيرنا وتغيرت أحوالنا.

ولو لم يكن الاهتزاز نسبيا ما أصلحت أحوال المنحرفين وعادوا لأداء مهامهم ووظائفهم الاجتماعيَّة والإنسانية.

ولأنَّ كلّ شيء نسبي، إذن كلّ شيء ممكن؛ فلا تستغرب أن يحدث ما لم يُتوقّع أن يحدث.

وعليه: إذا وقع ما لم تتوقّع؛ فعليك بالتعامل معه وفقا للأبعاد القيمية الآتية:

ـ البعد المهني.

- البعد الديني.
- البعد النفسي.
- البعد الاجتماعي.
- البعد الإنساني.
- البعد السياسي.
- البعد الاقتصادي.

وعليك أن تعرف وفقا لدائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) أن كلّ شيء قابل لأن يتغير إذا توافرت معطياته أو اشتراطاته.

وعليه: فكّر في الثّابت كما تفكر في المهتز، فكل شيء يتغير، وأعلم أنّ الزّمن كفيل بذلك إذا توافرت العزيمة ورسمت الخطط، ووضعت صناعة المستقبل هدفا رئيسا لإحداث النُّقلة.

ولأنَّ كلّ ثابت وكلّ مهتز هو في دائرة الممكن النسبي، إذن فالتفكير فيهما يعدّ ضرورة قبل اتخاذ القرار؛ ولذلك تتماثل دائرة الثابت والمهتز مع دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، من حيث إن: 50% من الدّائرة هو ثابت أو متوقّع، وأنّ 50% من الدّائرة هو المهتز أو غير المتوقّع. وهذا يعني: أنّ النسبي سيكون بين موجبٍ وسالبٍ، أي: إنّ الثابت والمهتز كلّ منهما معرّض لأن يكون سلبيا أو إيجابيا، أو أن يكون نتاج الأعمال السالبة أو الموجبة؛ ولذا تتداخل الحركة مع السّكون، ويتداخل السّكون مع الحركة.

وبما أنّ نسبة من السّكون في حالة حركة، وأنّ نسبة من الحركة في حالة سكون، إذن: لا مطلقية للثبات ولا مطلقية للسّكون.

ولذا فكّر في الثابت حتى تتيقّن، وفكر في المهتز مثلما أنت متيقّن.

وبما أنّ الكون في حالة حركة مستمرة؛ فهل هناك ساكن خارج التمدّد الكوني المتسارع؟

وعليه: لو لم يكن الثبات نسبيا ما تغيّرنا وما تغيّرت أحوالنا، ولو لم يكن الاهتزاز نسبيا ما أُصلحت أحوال المنحرفين، ولما تمكّن الأخصائيون الاجتماعيون من إعادتهم للقاعدة: (الإنسان قوّة)؛ فيجب أن يكون الإنسان على القوّة ويقبل تحدي الصّعاب من أجل صناعة المستقبل الأفضل، ولا يستغرب أنّ (كلّ شيء ممكن).

تذليل الصِّعاب يُمهّد لعمليَّة التطلّع:

وبما أنَّ تدليل الصِّعاب يُمهِّد لعملية التطلّع. إذن بطبيعة الحال عدم تذليلها يعيق عملية التطلّع.

وعليه:

. أقدم على إزالة الصّعاب التي تعيق طريقك وتحيطك من كلّ جانب.

. دعّم قيم التطلُّع.

. تعاون مع الآخرين وازداد علمًا وخبرةً.

. ثق أنك قوّة وتحدَ الصِّعاب.

. اكسر حاجز الخوف.

. نوّع مهاراتك وتطلّع للجديد.

. استثمر إمكاناتك وسابق الزّمن.

. نمي قدراتك في دائرة المتوقّع.

. هيئ استعداداتك لغير المتوقّع.

. اصنع مستقبلا وأحدث النُّقلة.

. أجعل لنفسك أملًا واعمل على بلوغه، ومن ثمّ نيله.

. لا تغفل عن قيم المجتمع الحميدة وفضائله الخيّرة وتطلّع للمعرفة النافعة.

وبما أن الرّغبة في تحسين الأوضاع تُدعم قيم التطلّع للمستقبل الأفضل.

إذن القاعدة هي:

1 . تحسين الأوضاع.

2 . تهذيب الرّغبة الجامحة.

والاستثناء هو:

1 . سوء الأوضاع.

2 . إهمال الرّغبة الجامحة.

ولذلك فإن تَوافُر الرّغبة في دائرة الممكن المتوقّع يُسهِّل من عمليات التحصيل والإنجاز، ويُسرّع من عمليات الإقدام ويحقّق نجاحًا رائعًا، أمّا في دائرة الممكن غير المتوقع فقد لا يحقّق ذلك؛ فعلى سبيل المثال: الشّاب الذي ذَهب إلى أحد حكماء الصّين ليتعلَّم منه سرّ النّجاح، وسأله: "هل تستطيع أن تذكر

لي ما هو سرّ النجاح؟ فرد عليه الحكيم الصيني قائلا: "سرّ النّجاح هو الدّوافع" فسأله الشّاب: ومن أين تأتي هذه الدّوافع؟ فردَّ عليه الحكيم: "من رغباتك المشتعلة، وباستغراب سأله: وكيف تكون عندنا رغبات مشتعلة؟ وهنا استأذن الحكيم الصّيني لعدّة دقائق وعاد ومعه وعاء كبير مليء بالماء، وطلب من الشّاب أن يقترب من وعاء الماء وينظر فيه، فنظر الشّاب إلى الماء عن قرب وفجأة ضغط الحكيم بكلتا يديه على رأس الشّاب، ووضعها داخل وعاء الماء ومرّت عدة ثوانٍ بدأ الشّاب يشعر بالاختناق، وبدأ يقاوم بشدّة حتى نجح في تخليص نفسه وإخراج رأسه من الماء ثم نظر إلى الحكيم وسأله بغضب: ما هذا الذي فعلته؟ فرد عليه: ما الذي تعلمته من التجربة؟ فقال الشاب: لم أتعلم شيئًا.

قال الحكيم: لا يا بني لقد تعلمت الكثير؛ ففي الثواني الأولى أردت أن تُخلِّص نفسك من الماء، ولكن دوافعك لم تكن كافية لعمل ذلك، وبعد ذلك كنت دائما راغبا في تخليص نفسك فبدأت في التحرُّك والمقاومة ولكن ببطء؛ حيث إن دوافعك لم تكن قد وصلت بعد لأعلى درجاتها، وأخيرًا أصبح عندك الرّغبة المشتعلة لتخليص نفسك، وعندئذ فقد نجحت.

وعليه يكمن في قيمة الرّغبة الآتي:

- الطموح.

- التطلُّع.

الإقدام.

التحدّي.

قوة الدّافعية.

الإنجاز.

التفوّق.

. النجاح.

ومن هنا وجب غرس الثقة في أنفسنا، ثمّ استمداد القوّة منها إن أردنا صُنع مستقبل، وإلّا سنكون ضعفاء ولا شيء لدينا إلّا الأمنيات التي لا يمكن أن تصنع لنا مستقبلا؛ ولهذا لا ينبغي أن نغفل عن الآتي:

. غرس الثّقة في نفوس أفراد المجتمع، بأنّهم قوّة ولهم ما يميزهم من الخصوصية، وأنّه من الممكن أن يكونوا على أحسن حال إذا ما استثمروا إمكاناتهم.

. غرس الثّقة في نفس الفرد وفي القيم الاجتماعيَّة الموجبة من أولويات الدور المهني للأخصائي الاجتماعي، وكذلك من قبل المسئولين وواضعي الخطط وراسمي السياسات الوطنية.

. غرس الثّقة في أنفس الجماعة من خلال المشاركة الفعّالة في إعداد البرامج والمشاركة في تنفيذها والقيام بها، يعدهم إلى أداء الواجبات على المستوى المجتمعي.

. تنمية قدرات أفراد المجتمع وغرس الثقة بينهم؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق أهدافهم الاجتماعيَّة وفقا للخطط والإستراتيجيات المرسومة.

. تهيئة الاستعدادات الاجتماعيَّة لما يجب والتطلّع بها إلى ما يُحدث النُّقلة.

. غرس الثقة في المجتمع من خلال مؤسّساته العامِلة، ومن خلال الخطط والإستراتيجيّات العامّة، دون الإغفال عن مشاورة أفراد المجتمع وأخذ وجهات نظرهم تجاه المستقبل الذي يأملونه أو يتطلعون إليه.

. تنمية قدرات الأفراد والجماعات مع مراعاة أصحاب الحاجات الخاصّة وتأهيلهم وتدريبهم ورعايتهم، مع دراسة حالاتهم وتوظيفهم؛ كونهم مفردة من مفردات المجتمع المستهدف صُنع مستقبله.

. تقوية الإمكانات الماديّة وتدعيمها بالمعلومة والمعرفة الواسعة المساندة للتطوّر والتقدّم واستثمارها فيما يفيد أفراد المجتمع.

. تحفيز أفراد المجتمع على المشاركة الفعّالة، ودفع مؤسّساتهم إلى الإقدام على ما يفيد وينفع العملاء والزبائن.

. استثمار الإمكانات البشرية والماديّة في تحسين أحوال الأفراد والجماعات وتحسين أحوال البيئة.

. إشعار أفراد المجتمع بأهمية المشاركة الاجتماعيَّة في اتخاذ القرارات وتنفيذها وتقويمها من الانحراف.

. حث الأفراد على الإفادة من الإمكانات المتاحة والبحث عن إمكانات أخرى أو إمكانات بديلة في حالة نقص الإمكانات أو شُحها من البيئة الاجتماعيَّة المحلية، واستثمار ما يتوافر منها إلى أقصى درجة ممكنة، تحقيقا لعمليات التغيير الموجب.

. إزالة المخاوف من نفوس أفراد المجتمع وحثّهم على تحدّي الصّعاب التي قد تواجههم وهم يقدمون على تنفيذ خططهم وإستراتيجياتهم التي رسموها.

. الإصرار والتصميم الإرادي على صناعة المستقبل في الزّمن الحاضر.

. تأكيد أهمية المشاركة ودورها في بناء الثقة بتحريض الأفراد على ممارستها؛ من أجل تأكيد منطق (النّحن) المستوعب للأنا والآخر؛ حتى تتضاعف القوّة ويزداد العطاء.

. إزالة المخاوف والظّنون التي قد تعلق بذهن الأفراد في أثناء جمع المعلومات وتحليلها أو في أثناء تشخيص الحالة وغرس الثقة فيهم، ودفعهم إلى التفاعل الموجب الممكِّن من إيجاد الحلول وتعزيزها في أفعال سلوكية.

. دفع أفراد المجتمع وهيئاته ومؤسّساته إلى استيعاب الجديد، والعمل على تطويرها بما يفيد وينمي الحياة الاجتماعيَّة والاقتصادية والسياسية لديهم.

. الإصرار والتصميم على إزالة الشّكوك والمخاوف، وكلّ ما من شأنه أن يجعل المواطن في حالة خوف أو قلق ممّا هو عليه ومن المستقبل الغامض من وجهة نظره.

. تمكّين الأفراد من إدارة شئون حياتهم بإرادتهم الحرّة دون أيّ إكراه أو إجبار، وغرس الثقة في أنفسهم وفي مقدرتهم على إدارة ما يتعلّق بهم من أمر، مع إرشادهم لِما يفيد عمليات الاستثمار للإمكانات المتاحة، وتعريفهم بأساليب البحث عن البدائل كلّما دعت الضّرورة لذلك.

ولهذا فالقاعدة هي:

. تنمية القدرات.

. تهيئة الاستعدادات.

. تدعيم الإمكانات.

والاستثناء هو:

. لا يولى اهتمامٌ بالقدرات.

. لا تُهيأ الاستعدادات.

. لا تُدعم الإمكانات.

ولذا وجب غرس الثقة في نفوس العاملين في مؤسّسات المجتمع وهيئاته وجمعياته الأهليّة والحكوميّة، كما يجب أن يولي المجتمع اهتمامًا بالقدرات والاستعدادات والإمكانات الفردية والجماعية والمجتمعية، ومساعدة الخبراء وقيادات المجتمع على اكتشاف الموهوبين والمبدعين وتحفيزهم على الإبداع وعلى زيادة الإنتاج، وغرس روح المحبّة للدين والوطن والعلم والعمل مع استيعاب الآخر والتطلّع إليه.

وعليه: فإنَّ تنمية القدرات وتهيئة الاستعدادات وتدعيم الإمكانات يتطلب تخطيطا موضوعيًّا من قبل مؤسّسات المجتمع وهيئاته، وقبل أن تُرسم الخطط أو توضع الإستراتيجيات ينبغي أن يتمكّن المخططون من معرفة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

. ما هي القدرات وكيف تنمى، ومتى؟

. ما هي الاستعدادات، وكيف تُهيئ، ومتى؟

. ما الإمكانات؟ وكيف تُدّعم؟ ومتى؟

. من القادرون على تنمية القدرات وتهيئة الاستعدادات وتدعيم الإمكانات؟

. من المستهدفون بتنمية القدرات وتهيئة الاستعدادات وتدعيم الإمكانات؟

. ما الأهداف التي من أجلها تنمى القدرات وتهيئ الاستعدادات وتدعم الإمكانات؟

في ضوء الحصول عن إجابات لهذه الأسئلة يمكن رسم الخطط، ومن دون تحديد إجابات واضحة ومحددة، ومن دون حصر الإمكانات تظل الخطط على الورق فقط، ولن تدخل حيز التنفيذ المكلل بالنّجاح، وإذا حاول البعض بالطّرق والأساليب العشوائية فلا مفرَّ لهم من الفشل المحقّق.

ولذلك فمن يطلب منه أن يكون شريكًا في رسم الخطط والإستراتيجيّات التي تُسهم في صناعة المستقبل أو إحداث النُّقلة، عليه أن يطرح هذه الأسئلة على المسئولين وذوي الاهتمام؛ حتى يتمكّن من المشاركة الفاعلة والناجحة مع الخبراء وقيادات المجتمع، وهيئات ومؤسّسات التخطيط العام في الدّولة، ومن ثمّ ينبغي مراعاة الآتي:

. أهدافٌ واضحةٌ؛ حتى لا يضل السّبيل إليها.

. خططٌ وفقًا للإمكانات المتاحة، والإمكانات التي قد تتاح وفقًا لدائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع)؛ لتفادي ما لم يكن في الحسبان.

. تهيئة الاستعدادات النفسيّة والبدنيّة والماليّة لما هو متوقّع ولما هو غير متوقّع حتى لا تحدث المفاجأة.

. غرس الثقة في النفس؛ حتى يُتمكَّن من تحدي الصِّعاب.

. تحديد الأدوار الواجب لعبها؛ لتحقيق الأهداف المحددة من قبل المجتمع أو مؤسساته أو هيئاته وجمعياته.

. تحديد ظروف البيئية المحيطة بالمؤسّسة أو الوحدة الإنتاجية أو التعليمية؛ للوقوف على ما بها من فرص للعمل أو التعلم أو ممارسة المناشط، وما بها من عوائق قد تحول بين المنفذين للخطط والأهداف المرسومة للإنجاز؛ وذلك لأجل إزالتها من الطريق قبل البدء في تنفيذ الخطط.

. تحديد جدولة زمنية لممارسة أو تنفيذ أي نشاط موضوعي داخل المؤسّسة أو في محيطها البيئي.

. تحديد القوى الفاعلة والقوى المساعدة من البشر الذين يُعتقد أنّهم قادرون على العمل بلا تردّد وبلا مخاوف.

. تتبع مراحل تنفيذ الخطة أوّلًا بأوّل.

. تقويم الجهود المبذولة في الفترات الزّمنية المحدّدة، وما تَحقّق من إنجاز جزئي.

وعليه:

. نَمِّ قدراتك.

. افطن من غفلتك.

. أدرك ذاتك.

. اسبر أغوار نفسك.

. اعرف أسباب ضعفك.

. استمد معطيات قوّتك.

. خذ بزمام أمرك.

. اعترف بأخطائك وأقدم على تغييرها.

. قرّر بعد معرفة كافية.

. نفّذ بلا تردّد.

. أصلح من حالك.

. ثق في نفسك يثق الآخرون فيك.

. سر بخطى ثابتة صوب الأهداف.

. تكلّم بصوت واضح مفهوم ومتّزن.

. ثق أنّ قدراتك تمكّنك من أداء عمل أفضل.

. حاول حلّ مشاكلك بنفسك، وتهيئ لمساعدة الآخرين.

. شارك أفراد المجتمع نشاطاتهم.

. ارسم خططًا.

. عدّ برنامجًا لمستقبلك.

. لا تقل: (نعم) عندما تريد أن تقول: (لا).

ولأنّه كلّما توافرت الحوافز المتنوّعة والمتعدّدة، زادت عمليّات التفاعل والمشاركة الإيجابيّة بين أفراد المجتمع وجماعاته؛ لذا فإنّ تقوية الدّوافع تتطلّب حوافز متنوّعة ومتعددة، وتتطلب أساليب استيعابية ممتلئة بالذّوق الرّفيع والمرونة المتوازنة، والحوافز تكمن في الآتي:

1 . الكلمة الطيّبة.

2 . القيم والأخلاق الفاضلة.

3 . السّلوك القدوة.

4 . الفعل الصّادق.

5 . الأسلوب الرّاقي دفئا.

6 . العطاء من دون منّة.

7 . المكافأة الحسنة.

8 . الإرادة الحرّة.

صنع المستقبل يحدث النُّقلة:

ولأنَّ نيل التقدير والاعتراف يحقّق النُّقلة النّوعية، فهو الممكن من تجاوز المستويات القيميّة الثلاثة الواردة في تصنيف عقيل (الذاتيّة والانسحابيّة والأنانيّة) والامتداد إلى المستوى القيمي التطلّعي والمستوى القيمي الموضوعي، اللذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حُجّة في الحوار، وحجّة في استقراء

واستنباط الأمور المتعلّقة بالعلائق الاجتماعيَّة والاقتصادية والسياسيّة وبالعلائق النفسية والذوقية والثقافية.

ولهذا فالقاعدة هي:

تحقيق النُّقلة.

والاستثناء هو:

تحقيق التخلف.

ولذا فالاعتراف بما يُبذل من جهود يؤدّي إلى تحقيق الطمأنينة النفسية والرّضا النفسي ويغرس الثّقة، التي تمدّ الإنسان بالمزيد من العطاء الموجب، وتمدّه بقوّة الالتزام الأخلاقي الذي يشعرُ الآخرين بأهمية العمل على رد الجميل أو الفضل بما هو أجمل وأفضل منه.

ولأنّ التقدير والاعتراف كلّ منهما قيمة، فإنّ نيل كلّ منهما مبدأ، وهنا يؤكد فرنسيس فوكو ياما على أنّ الرغبة في الاعتراف والتقدير بوصفهما المحركان للتاريخ من وجهة النّظر الليبراليّة هما الحلقة المفقودة بين الاقتصاد الليبرالي والسياسة الليبرالية، وكذلك يؤكد هيجل كيف أنّ رغبة الإنسان في سبيل نيل الاعتراف والتقدير قد زجت به منذُ فجر التاريخ في معركة دموية من أجل المنزلة.

ولأنّ التقدير والاعتراف يمكنان من إحداث النُّقلة النوعيّة؛ لذا فإنّ النُّقلة تحقّق التميّز والمكانة الرّفيعة والمنزلة العالية عند من يبادلك الاعتراف، أو ينتظر أن تقدمه له؛ فالعبد على سبيل المثال: في الوقت الذي يقبل فيه بالعبودية يأمل أن يكون سيّده راضيا عنه؛ ولذا يكدّ ويجدّ ويتحمّل التّعب من أجل شيء مهم

جدًّا، هو نيل التقدير والاعتراف من سيده، بأنّه عبدٌ مخلصٌ ومطيعٌ ومهذبٌ؛ ولذا فهو لا يفرح إلا بفرح سيّده منه، وهكذا حال المتعلمين الذين يتنافسون على أخذ الصّدارة والفوز بها، تراهم يبذلون الجهود المثمرة (المحقّقة للفوز) من أجل أن ينالوا الاعتراف والتقدير من والديهما، ومن ذوي العلاقة بهم، ومن محيطهم الاجتماعي والإنساني، وإلّا لماذا يبذلون المزيد من الجهد؟! وأيضًا هكذا حال من يقول الحقّ، ويعدل إذا حُكّم، وحال من يعمل ويزرع ويصنع ويتصوّف أو يتعبد بموضوعية، أو يدخل المنافسات في المناشط المتعدّدة (الرياضيّة والفنيّة والثقافيّة والعلميّة والجماليّة) جميعهم يسعون لنيل الاعتراف والتقدير من الآخرين الذين هم في محيطهم البيئي.

أمّا الذين يعانون من حالات انسحابية فأمرهم غير ذلك؛ فهم يحتاجون إلى دراسة حالاتهم وتحديد مستوياتهم القيمية التي هم عليها، ثمّ إعادتهم لِما يجب، ثمّ بعد ذلك نقلهم إلى ما يُسهم في تحقيق المستقبل الأفضل والأجود الذي يحقّق لهم النُّقلة.

وعليه:

ـ كن إيجابيا لتنل التقدير والاعتراف.

ـ كن متفهِّما لتحدث النُّقلة.

ـ اعترف بالآخرين يتمّ الاعتراف بك.

ـ قدّر الآخرين تنل التقدير منهم.

ـ ثق أن الاعتراف يحقق قيمة التقبل.

. ثق أن الجحود مفسدة.

. ثق أن مبادلة قيمة الاعتراف تبادل قيمة التقدير.

. استوعب الغير يستوعبك.

وعليه ينبغي على المسئولين في كلّ المستويات أن لا يغفلوا عن:

. تفعيل منطق النّحن بين أفراد المجتمع وجماعات التعلّم والعمل والجماعات الممارسة للمناشط المتنوعة، والجماعات الممارسة للسياسة والاقتصاد، والذين يشتركون في رسم الخطط والإستراتيجيات لمجتمعاتهم.

. تمكين أفراد المجتمع من تكوين إحساس عام مشترك، مفاده: أنّهم مفردات أساسية في الدّولة، ولهم حقوق يجب أن تمارسها، وواجبات ينبغي أن تؤدّى، ومسئوليات ينبغي أن تحمل، حتى يصبح منطق الجميع نحن معًا.

. التركيز على القيم الاجتماعيَّة التي تستوعب الأفراد والجماعات دون استثناء، مع تفطين الأفراد بأهمية هذه القيم الاستيعابيّة، وحثهم على احترامها وتقديرها، والوقوف عندها، والابتعاد عمّا يُبعدهم عنها؛ فهذا الأمر يجعلهم في الاحتضان الاجتماعي الذي يمدهم بالدفء والطمأنينة.

. حث أفراد المجتمع وجماعاته وفئاته على استيعاب بعضهم لبعض، وتقبلهم كما هم يُمكِّن من تكوين علائق قيمية ذات أبعاد إنسانيّة.

. وضع خطط وبرامج لتحقيق الألفة والمحبّة والموائمة الاجتماعيَّة والإنسانية بين العاملين والمتعلمين، وبين أفراد الأسر والممارسين للمناشط

المتعددة، وبين أصحاب الحضارات وأصحاب الأديان المتعدّدة؛ ذلك لأن الرّب واحد والدّين واحد.

. دفع الأفراد تجاه الأفعال الاستيعابية التي تُسهم في زيادة قوّتهم قوّة.

. المواءمة بين مطالب الأفراد وحاجاتهم، ومصادر الإشباع المتاحة في بيئتهم الاجتماعيَّة.

. التحريض على ممارسة أساليب الدّيمقراطية بما يحقّق المعاملة الحسنة بين الذين تربطهم علائق قيمية أو بين الذين تربطهم مصالح ومنافع مؤقّتة.

. غرس قيم الشفافية واتباع أساليبها بين المتعلمين والممارسين لحقوقهم والمؤدّين لواجباتهم والحاملين لمسئولياتهم.

. تفطين أفراد الأسرة من غفلتهم عن متطلبات المراحل العمرية للأبناء وأثر المتغيرات التي تحيطهم في البيئة الاجتماعيَّة أو في القرية الصغيرة؛ حتى يتمّ الاستيعاب الموضعي، وتقدير الحاجات المتطوّرة عبر الزّمن.

. دفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعضًا ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر، سواء أكان هذا الأمر علائق أسرية، أم علائق جيرة أم عمل أم سياسة داخلية أو خارجية، أم أمر سلم أم حرب، أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعيَّة.

. تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعيَّة إلى أهمية الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب، التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل.

. مشاركة الأفراد والجماعات في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر دون إنابة عنهم في أمر من أمورهم التي يقدرون على القيام بها أو أدائها، ولا داعي للأحكام المسبقة التي تقول: (أنّهم لن يكونوا قادرين).

. التأكيد على أهمية ممارسة الديمقراطية بشفافية، يزيل الشّكوك التي تظهر بين الحين والحين بين أفراد المجتمع أو جماعته، ويطوي الهوة بينهم مما يجعلهم يدًا واحدة في مغالبة الصّعاب وصُنع المستقبل المأمول.

. التأكيد على أهمية الاستيعاب في تنمية رأس المال الاجتماعي.

. ترشيد الأفراد والجماعات إلى التمسّك بقيمة الاستيعاب، حتى يتمكّنوا من تحقيق مجتمع القوّة.

. تفعيل المشاركة والتعاون بما يؤكّد أهمية كلّ فرد من أفراد المجتمع بالنسبة إلى الآخر وحاجته إليه.

. التخطيط لكلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى توزيع المسئوليات حسب الاختصاصات والأدوار والصّلاحيات؛ لأجل تفعيل مبررات الاستيعاب المثمر.

. المشاركة في المؤتمرات العلمية والسياسية والاقتصادية؛ للتعرف على المتغيرات المستحدثة التي تؤدّي إلى نتائج موجبة في العلائق الاجتماعيَّة والإفادة منها في وضع البرامج، وإعداد الخطط، ورسم الإستراتيجيات التي تحقق النُّقلة.

. تشجيع أفراد المجتمع على إقامة صداقات خارج حدود الوطن من خلال شبكات المعلومات الدّولية؛ تحقيقا للتواصل مع الآخر واستيعابه بما يحقّق التقارب وتبادل المنافع.

ـ ترسيخ لغة ومفهوم (نحن)؛ حتى لا تسري الشخصانية والأنانية في سلوك بني الوطن وأفعالهم؛ ذلك لأنَّ كلمتي (أنا وأنت) تسمح بمسافة امتداد فراغي لتجذب مشاعر الخوف إليها، فكلّما زاد تمسُّك الأنا بأناته اندفع (الأنت) لإعادة حساباته، وهذه تزيد من الظّنون وتقلل من الثقة التي ينبغي أن تسود بين بني الوطن؛ ومن ثمَّ وجب سيادة أنا الفرد ينبغي أن أسود بكرامتي، وأنا الحريّة ينبغي أن أعم النّاس، وأنا الشفافية ينبغي أن أكون في السّلوك والفعل، وأنا الوطن يجب أن أكون خالصا لأهلي، وأنا الأبوّة والأمومة والأخوة والأسرة والجيرة التي لا ينبغي أن يُحرم أحد من مشاعري وانتمائي، وأنا دين الله الذي كُرِمت به الآدمية، وأنا المنطق الذي يجب أن أسود بينكم إذا أردتم التفاهم والتواصل وتبادل الاحترام، وإذا أردتم الاعتراف والتقدير، وأنا النّاس كلّ النّاس الذين لهم حقوق تمارس، وواجبات تؤدى، ومسئوليات تُحمْل، وأنا كلمة حقّ لا بدّ أن أقال، وأنت الباطل لابد أن تُزال، وأنت العبد يجب أن تتحرّر، وأنت الاستعمار يجب أن ترحل، وأنت القيد يجب أن تُفك بإرادة أو تُكسر بالقوّة، فأنت لم تكن أنا، فلماذا لا تفهم؟ ونحن معًا نحن).

من هنا تتضح قيم (النّحن) الاستيعابية، التي تُمكِّن الأفراد من الالتقاء على الحُجَّة والتفاهم والاحتكام، لا على التعصّب بلا حُجَّة ولا برهان.

وعليه:

ـ استوعب النّاس يتم استيعابك.

ـ اعترف بحقوق النّاس يتمّ الاعتراف بحقوقك.

ـ قدّر النّاس تنل التقدير منهم.

. عامل النّاس بشفافية تُعامل بها.

. عامل النّاس بمرونة يمدوك بالاحترام.

. اعتمد المنطق حُجّة حتى يصبح قاسمًا مشتركًا.

ولأنّ التمسّك بالمنطق تمسّكٌ بالقواسم المشتركة، إذن: (التمسّك بالقواسم المشتركة) قاعدة، والتخلّي عنها استثناء.

ومن هنا، ينبغي العمل على تفطين أفراد المجتمع إلى أهمية التمسّك بالقواسم المشتركة؛ حتى يتوحّد الجميع على منطق (نحن)، الذي لا يقبل التفرقة والتجزئة والإقصاء.

ولهذا يفضّل أن تتمركز قواعد المنطق على الآتي:

. الحُجَّة إقناع واقتناع.

. البرهان دليل إثبات موضوعي.

. التقريب القيمي بالقواسم المشتركة.

. الاستيعاب بإعطاء الهامش.

. التوافق تمركز على عناصر القوّة.

. التفرّق تمركز على عناصر الضّعف.

. التقبّل رضا إرادي.

. الاعتراف إقرار بالفضيلة.

. الاعتبار إعطاء مكانة للآخر.

ـ التقدير معياري النجاح.

ـ التواصل استمرارية علائقيَّة.

ـ الشفافية وضوح في القول والفعل.

وعليه:

إنَّ تفعيل العلائق الاجتماعيَّة والإنسانية يؤدّي إلى التطلُّع والقوّة والنّمو ويحدث النُّقلة، أمّا إهمالها فيؤدي إلى التراجع والانسحاب والضّعف الذي لا يؤدّي إلّا إلى الخسارة والانهزام.

ولذا فالتمسّك بحجّة المنطق يستوجب سيادة التفهُّم بين أطراف الحوار الذي به يتم تقدير الظّروف الاجتماعيَّة والاقتصادية والسياسية والنفسية والذوقية والثقافية، فهذه الظروف في طبيعتها لا تتساوى بين الأفراد؛ حيث الفروق الفردية، وحيث الفروق في الإمكانات المتاحة.

ولأنَّ المنطق يستند على الحُجَّة والبرهان وفقا لمعطيات أو مسلّمات تتضمّن حقائق ودلائل وإثباتات موضوعية؛ فإن اعتماد المنطق والحُجَّة بين الأطراف المشتركة في وحدة الموضوع يُعد تمسكا بالقواسم المشتركة بين الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات.

الشّك يُحدِث النُّقلة:

الشّك تخمين في الشيء غير المتأكّد من وجوده أو ظهوره أو صدقه، ممّا يستوجب التبيّن قبل التسليم؛ ولهذا فالشّك عملية عقلية تستوجب التوضيح والتبيان حتى يتمّ التصديق أو التسليم بما يقال أو بما تسرد قصصه؛ ولهذا فما

يُقال أو يُسمع يستوجب التأكد منه قبل الحكم عليه أو به؛ ولذلك تؤسّس الاختبارات والامتحانات المتنوّعة والمتعدّدة على قاعدة الشّك من أجل اليقين.

ولهذا:

. تأكّد ممّا يقال لك قبل أن تصدّقه تسليما.

. شُك فيما يقال؛ من أجل أن تعرف الحقيقة هي كما هي بلا مؤثرات شخصية.

. تبيّن ما يجب قبل أن تقدم على ما يتمّ التحريض عليه.

. اطلع على ما كُتب أو نشر وفقا لدائرة الممكن قبل أن تكتب ما تهدف الكتابة عنه.

. فكّر قبل أن ترسم خطة.

. ارسم خطة قبل أن تعدّ لها برنامجا.

هذه معطيات علمية، يتمركز الشّك عليها، من دونها لا يكون الشّك شكا، بل يكون الشك ظنًّا والفرق كبير بين الأوّل الذي يتعلق بالمستقبل، والثَّاني الذي يتعلّق بالماضي.

ولذلك فإنّ الشّك يتعلّق بالمستقبل، والظنّ يتعلّق بالماضي؛ حيث كلّ ما وقع أو حدث أو ظهر في الماضي هو حقيقة، سواء أكانت ذات أثرٍ موجبٍ أم أثر سالبٍ، أمّا الشّك فاحتمالي التحقّق أو الحدوث، إي: يمتد زمان توقعه من الزّمن الآن إلى الزّمن المستقبل وفقًا للمعطيات المتاحة، كأن يُقال لك: (فلان من النّاس عمره خمسون عامًا وسيفوز في سباق العشرة أميال مع المتسابقين

الشبّان) هذا الافتراض في دائرة الشّك لن يتحقّق، ولكن في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع قد يحدث، ومع ذلك وفقا للمعطيات العمرية ينبغي أن أشك حتى يأتي اليقين يوم مشاركته في السّباق.

وعندما يقال لك: (إنّ العرب سيهزمون إسرائيل في المستقبل)، من حقّك أن تشكّ وفقًا للمعطيات الآنية؛ حيث العرب في حالة هزيمة، ومن ثمَّ من حقِّكَ أن تشكّ في حدوث هذا الأمر وفقا للحال الذي هم عليه في الزّمن الآن.

الشّك مثبت إثبات قاعدة الاحتمالات؛ ولأنَّ ليس كل ما يقال أو يُسمع دائما في حالة مصادق؛ لذا يستوجب التأكد قبل الحكم؛ ولهذا سيظل الشّك إلى أن ينفى باليقين.

وسيظل الظّنّ إلى أن يثبت باليقين.

ولذا فإنَّ القاعدة هي:

. الشّك احتمالي.

. الشّك يحدث النُّقلة.

. الشّك يصنع المستقبل.

والاستثناء هو:

. الشك قطعي.

. الشك لا يحدث النُّقلة.

. الشك لا يصنع المستقبل.

وعليه:

. شُكَّ حتى تُحدث النُّقلة.

. شكّ حتى تصنع المستقبل.

. شُكّ حتى تميّز بين ما يجب وما لا يجب.

. شكّ حتى تعرف الحقيقة.

. شكّ حتى تكتشف القوانين؛ فالمستقبل آتٍ وعليك بتبيّنه قبل أن يصل إليك وأنت لم تحسم أمرك بعد.

. لا تيأس ولا تتراجع.

. سابق الزّمن وأنت تشكّ من أجل المزيد المعرفي البيّن.

. ثق أنّ مستقبلك أمامك؛ فلا تلتفت للظنون.

. ثق أنّك قوّة قادرة على تحدّي الصّعاب.

. اجعل الخوف في نفسك محفّزًا على تفادي المؤلم والمفاجئ؛ حتى تجد نفسك مندفعا لما يجنّبك المخيف.

ولذلك فللخوف فضل على عقولنا؛ فلولاه ما فكّرنا، ولا خطّطنا، ولا صنعنا مستقبلا مناسبا لحياتنا، ولو لم يملأ الخوف نفوسنا ما تخلصنا من المخيف الذي كان في الماضي جاثما على صدورنا؛ ومن هنا فالخوف يجنّب ما يخيف ويؤلم ويوقع في الفخّ؛ ولذا لا مستقبل آمن ما لم نؤمن أنفسنا ممّا يخيف مستقبلا.

وإذا تساءل أحد عن المستقبل:

أقول:

. إنّه الذي سيأتي بعد كتابة هذه الكلمة في حالة مواصلتي الكتابة.

. إنّه الفكرة التي ستأتي بعدما أفكر فيه.

. إنّه الزّمان الذي فيه طموحاتنا وما نتوقّع.

. إنّه الذي من أجله: نتنفس ونشرب، ونأكل ونفكّر، ونتعلّم ونعمل، ونتصّدق ونصلّي، ونحب ونتزوج، وندّخر وفقا لحاجاتنا، ونؤمّن ممتلكاتنا، وهو الذي من أجله الخوف لم يفارقنا.

ولذا لو لم يكن هناك مستقبل، ما كان هناك أمل ولا أماني، ولولاه ما فكّرنا في الآتي:

. فيما يشغلنا.

. مَنْ نحن؟

. ما هي إمكاناتنا؟ وكيف نستثمرها مكاسب؟

. ما الذي يجب علينا القيام به؟

. من أجل ماذا نفكّر؟

. من أجل ماذا نتعلّم؟

. من أجل ماذا نخطط ونعمل وننتج؟

. لماذا نهتم بالدراسات والبحوث العلميّة ونحاول غزو الفضاء؟

. لماذا نحلل ونستنتج ونستقرأ؟

ـ لماذا نخاف؟

ـ لماذا نتزوج ونطلق؟

ـ لماذا نصوم ونصلي ونزكي ونؤدّي جميع الفرائض التي ترضينا مع الله تعالى؟

الإجابة عن كلّ هذه الأسئلة واحدة.

(من أجل المستقبل المأمول).

صُنع المستقبل كشف المجهول:

المجهول معرفة هو الذي لم يكتشف بعد، أو لم يتمّ التعرّف عليه على الرّغم من وجوده، أي: كلّ ما تمّ التعرف عليه كان مجهولًا؛ ولذا فلو لم يكن المجهول موجودا ما كانت الإمكانية متاحة لمعرفته.

ومن هنا ليس كلّ موجود (مخلوق) مكتشف أي: إنّ الإنسان لا يخلق؛ فالخَلق من صُنع الخالق تعالى؛ ولأنّ الخالق هو الخلّاق، إذن: خلق الله كلّ شيء وهو يخلق ما يشاء في كلّ برهة من الزّمن تسليمًا، ولكن ليس كلّ ما خُلق ويُخلق هو ميسّر للمشاهدة والملاحظة على الرّغم من وجوده؛ ولذا وجب البحث حتى يتمّ التمكّن من معرفة المجهول الذي يستوجب تصديقا بأنّ وراء كلّ مخلوق خالق.

ومن ثمّ فالمجهول هو ما لم يكن معلوما بعد، ممّا يستوجب البحث من أجل كشفه والتعرّف عليه؛ ليكون إضافة جديدة للمعارف والعلوم السّابقة؛ فينبغي على البحّاث إن أرادوا معرفة المجهول أن يصوغوا له تساؤلات؛ فالتساؤلات تقود إلى معرفة المجهول في دائرة الممكن، ومن ثمّ فالبحّاث الذين

يعتمدون على صياغة الفروض العلمية لن يتمكّنوا من معرفة المجهول، بل يتمكّنوا فقط من معرفة النّصف المتبقي من المعرفة المتوافرة لديهم؛ فالفروض وأن عظمت نتائجها فهي لا تصاغ إلّا ونصف المعلومة غير مجهول، وللضّرورة هم يبحثون بهدف معرفة ما يتمّم نصف ما لديهم من معرفة.

أمّا التساؤلات فهي أسلوب بحثي معمّق يمكّن أصحابه من معرفة الجديد المجهول، {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ}[47]؛ فقوله: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ!) هو تساؤل، ولم يكن سؤالا، ولم يكن استفسارا؛ ذلك لأنّ السّؤال دائمًا يلاحق إجابة سابقة عليه، بهدف إعادتها ثانية أو أكثر من ذلك، وكذلك الاستفسار لا يكون إلّا عابرا ومن العموم، أمّا التساؤل فهو: يستوجب بحثا علميًّا وتقصّيًا دقيقًا من أجل معرفة المجهول.

ولأنّ المشركين يتساءلون عن المجهول؛ فكانت المعلومة من العليم، أنّ ما تختلفون فيه هو النبأ العظيم الذي يتنزّل تنزيلًا، أي: إنّ المشركين كانوا يعتقدون أنّ ما جاء به محمّد عليه الصّلاة والسّلام، لا يمكن أن يكون منه، وهنا كانت علامات الاستغراب تدور في أنفسهم كما تدور بينهم، وهم يتسألون؛ فأنزل الله المعلومة حُجّة: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)، وستكون الشواهد على ذلك متوالية، وسيعلم الكفار بذلك شواهد دالة على أنّه الحقّ المنزّل، (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) أي: إنّ المعجز إن تمّ الاستفسار عنه فلا يبلغ إلّا تنزيلا، أمّا الممكن فلا يبلغ إلّا بحثا معمّقًا.

---

[47] النبأ 1 . 5.

ولذلك وجب تقدير الشّطحات العلمية؛ فهي في دائرة الممكن قد تؤدّي إلى معرفة المجهول، أمّا بالنّسبة إلى ما هو مستحيل؛ فالشّطحات عندما تكون موضوعية فهي تمكّن من معرفته وإن قصرت عن معرفة الكيفية التي هو عليها، ولكن عندما تكون الشّطحات غير موضوعية فهي بلا شكّ ستزيد الهوة اتساعا بين ما هو مستحيل، وما ينبغي أن يتمكّن الإنسان من معرفته وإدراكه.

ولذلك فالتّطلع يُمكّن الإنسان من استقراء المستقبل وصناعته، ثمّ يمكّنه من تجاوزه ارتقاء، ومن ثمّ إذا أردنا معرفة المستحيل وبلوغه استحالة، فلا ينبغي أن توضع إشارة (قفْ)، أمام التفكير العلمي لبني آدم، بل ينبغي أن نفكّر فيما نفكّر فيه حتى ننجزه عملا متحقّقًا أمام المستحيل وآفاقه البعيدة، والذي بوجوده بعيدا عنّا يفسح لعقولنا مجالات التفكير فيه، والتمدّد تجاهه بلا موانع؛ فينبغي أن نفكّر في كلّ شيء، وبكلّ حرّية مقدّرة حتى نعجز، وحينها نعرفه مستحيلًا؛ ولذا فلا مستحيل قبل العجز، ومن ثمّ وجب البحث حتى بلوغ العجز الممكّن من معرفة المستحيل عن قرب؛ ولذلك خُلقنا.

ولأنّنا خُلقنا لذلك فينبغي أن نعمل والمستحيل نصب أعيُننا حتى ندركه عجزا، وحينها ندرك إنّ الارتقاء إليه يمدّنا بالثّقة؛ حيث كلّ شيء ممكن حتى وإن كان غير متوقّعٍ.

ولأنّه المستحيل فهو لا يعيق العمل ارتقاء، بل الذي يُعيق العمل عن النّهوض، وإحداث النُّقلة، وبلوغ الارتقاء قمّة هو العمل الذي ينحدر بأصحابه

في دونيّة الأخلاق وسُفلية التخلّف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني والذوقي: {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى}[48].

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدّونيّة، ولكن لأنّ الارتقاء والدّونيّة يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرًا وتدبّرًا وتفكّرًا؛ فهما بيد الإنسان مطلبا ورغبة واختيارًا؛ ولذلك ينبغي أن يعمل بنو آدم كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُّقلة الممكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

وعليه:

فالفعل المستحيل لا يكون إلّا خَلقا؛ ولأنّه كذلك فلا يكون إلّا إعجازًا، حيث لا إمكانيّة لخلق الشيء شيئا إلّا بمشيء، وحتى إن عُدنا لذلك التّساؤل الذي كنّا نطرحه على أنفسنا أيّام المراهقة والثانويَّة، وهو:

ـ من الذي خلق الخالق؟ وكيف كان قبل أن يخلق ما خَلق؟

أقول:

بما أنّنا نقول: الخالق، إذن فلا ينبغي أن نسأل عمّن خلق الخالق؟ أي: كيف لنا من زاوية نقول الخالق، ومن زاوية أخرى نسأل عنه؟ إنّه الخالق الذي يخلق ولا يُخلق، ومن ثمّ فكلّ شيء يُخلق؛ فهو ليس بالخالق؛ ولذا فلا فواصل بين الخالق وخَلقه، فالخالق ليس على الصّورة ليكون موجودا قبل أن يخلق الخلائق؛ ولذلك فالسؤال ليس في محلّه؛ لأنّ السّائل جعل في ذهنه هيئة للخالق، وهنا تكمن العلّة؛ حيث لا هيئة للخالق، بل له مشيئة، والمشيئة هي فعل

[48] الكهف: 88.

المستحيل، والتفكير في الفعل المستحيل يجعل السّائل في حيرة من أمره بعلّة في نفسه، وهي: اختلاط فكرته عن الخالق الذي لا يُصوّر بما هو على هيئة الصّورة، وبالتّالي فمن يتصوّر لله هيئة، يجعله وكأنّه داخل الإحاطة، ومن يفكّر داخل الإحاطة؛ فتفكيره لا يزيد عن كونه تفكير كتكوت داخل البيضة، والذي لا إمكانية له في رؤية عالم أعظم من عالمه داخل البيضة؛ ولذلك فهيئة الله بلا هيئة، وصورة الله بلا صورة، ومن هنا فنحن غير عاجزين عن معرفة الله، ولا يليق بنا أن نسأل عمّن بيده الأمر (كن): كيف كان؟

نعم، الله لم يكن، حتى نسأل عنه كيف كان؛ فمثل هذا السؤال يتعلّق بمن لم يكن فكان؛ كما هو حال الكون الذي كما يقولون عنه: كان نتاج ذلك الانفجار العظيم سببا، وكما هو حال الأزواج التي لو لم تكن الأرض كائنة ما خُلقت منها الأزواج سببًا، وغيرها كثير من الخلائق التي قبل خلقها لم تكن بخلائق.

ومن هنا؛ فلا ينبغي أن يكون السؤال: كيف كان الله؟

بل ينبغي أن يكون السؤال: من هو الله؟ وما هي صفاته؟

فالله هو الذي يُسمّى بهذا الاسم، وهو الذي لم يكن كائنًا، حتى يسأل عنه كيف كان؛ ولذلك فالكائن لا يكون إلّا على هيئة يراد له أن يكون عليها؛ فيكون. ومن ثمَّ فأيّ كائنٍ لا يكون إلّا على هيئةٍ ووفق مشيئة ليست بيده، ومن هنا؛ فنحن ندرك الكون علما، ولكنّا لا ندرك هيئته، وكيف لنا بهذا ونحن لم ندرك صورة الكون متكاملة؟ أي: كيف لنا بهذا ونحن داخل محيط الكون الذي لم نتمكّن بعد من الخروج عنه بأيّ سبب، ومع ذلك يمكن لنا أن نتصوّر

الكون بوصفنا جزيء فيه أو حتى إنّنا أقل من ذلك بكثير، أمّا الخالق فهو على غير هيئة؛ كونه على غير صورة، ومن ثَمَّ لا أمكانية لوضعه في أيّ هيئة ذهنية، ولا يليق بعقولنا ومدركاتنا التي أدركته استحالة أن تجعله على هيئة أو صورة وهو لم يضع نفسه فيها؟

ومن ثمّ؛ فالله يخلق غيره، وغيره لا يخلقه، وبالعودة إلى السّؤال: كيف كان الله؟

فالله لا يكون.

ومن هنا، فالسّؤال لا علاقة له بمن يُسأل عنه، بل له علاقة بالسّائل، الذي لا يعرف من كينونته إلّا أنّه من نطفة ومن قبلها من تراب، ولا شيء غير ذلك، ومع ذلك يسأل: كيف كان الله؟

أي: ألا يكفي إجابة أنّه يعلم أنّه قاصر عن معرفة كيفيّة خلقه التي ليس له رأي فيها؟ ويسأل عن كيف كان الله؟

أقول:

عليك بالبحث في الكون بلا توقّف؛ لعلّك تعرف كيف خُلق، وكيف كانت له هيئة قبل أن يُخلق، ووفق أيّة مشيئة هو خُلق؟ وكذلك عليك بالبحث في نفسك؛ لعلك تعرف كيف خُلقت، وكيف كانت لنفسك هيئة قبل أن تُخلق، ووفق أيّة مشيئة هي خلقت؟ وعليك أن تفكّر فيما تفكّر فيه قبل أن تتكلّم وتقرّر أو تعمل؛ فإن فعلت ذلك عن وعي لا شكّ أنّك ستدرك أنّ صفات الله تتعدّد بتعدّد نعمه، وهو الواحد الذي لا يتعدّد.

وعليه:

. التعرّف على المجهول يزيد المؤمن ثقة وإيمانا بأنّه لم يؤت من العلم إلّا قليلا.

. البحث عن المجهول يفتح آفاقا واسعة أمام المعارف الإنسانية، وينمّي الذاكرة ويحفّزها على المزيد.

. الانطلاق من المعلوم بحثا علميا يمكّن البحاث من إضافة ما كان مجهولا بالنّسبة إليهم.

. التعرّف على المجهول ليس بتعرّف على مفقود، بل هو التعرّف على الممكن الذي لم يسبق وجوده معرفة من قبل.

. التعرّف على المجهول ممكنٌ؛ فأسع حتى يصبح على يديك إضافة جديدة.

. البحث العلمي يكتشف المجهول ويضيفه إلى المعرفة جديدًا؛ فابحث حتى تكتشف المجهول.

. التعرّف على المجهول يستوجب صياغة تساؤلات فعليك بها صياغة.

. الشّطحات العلمية تؤدّي إلى الاكتشاف العلمي؛ فلا تُقولب عقلك وفكّرك، ولا تقبل بوضع إشارة قف أمامك في أثناء قيامك بالبحث العلمي.

. فكّر فيما هو غير متاح حتى يصبح معلوما.

. ثق أنّ وراء كلّ مجهول كمًّا كبيرًا من المجهولات؛ فلا تقنط.

صُنع المستقبل فيه الخوارق:

الخوارق هي التي بها يتمّ تجاوز المألوف والمحتمل في دائرة الممكن غير المتوقّع من خلال تحدي العقل البشري للكوابح والمعيقات، وهي نتاج المقدرة الذهنية ذات الرؤية الثاقبة للمشاهد والملاحظ بغاية التعرّف عليه، وعلى القوانين التي هو عليها، وعلى الكيفية التي بها خُلق، حتى التمكّن من معرفة المستحيل مستحيلا.

ولهذا فالخوارق تُصنع وتُبدع؛ كونها على غير سابقة معروفة، فمن بلغها اختراقا (تجاوزًا للمألوف) وأظهر ما كان مجهولا أو مختفيا لحيّز المشاهدة والملاحظة فقد أضاف جديدا لميادين المعرفة الواسعة؛ فالخوارق لو لم تكن ممكنة ما كانت، ولأنّها في دائرة الممكن فهي ستتولّد خارقة ومن بعدها خوارق، وما الاستغراب الذي يصاحبها أو المفاجآت التي تلاحق وجودها إلّا بسبب كونها لم تكن متوقّعة.

والخوارق تُصنع؛ لأنّها تأتي عن غير قاعدة، وعن غير معتاد ولا مألوف ولا متوقّع، ممّا يجعل علامات الاستغراب والاستفهام والتعجّب توضع عليها وعلى من اكتشفها أو جاء بها.

أمّا الصّنع؛ فهو إظهار ما لم يكن ظاهرًا، أو إيجاد ما لم يكن بين اليدين موجودٌ، أو إظهار الشيء الظاهر على غير ظهوره إبداعًا، أو استخراج الشيء من الشيء بطريقة أو أسلوب غير معتادٍ ولا مألوفٍ.

والصّنع هو أن يتمّ الإتيان بما لم يسبق لأحدٍ أنْ أتى به، وهو نتاج التفكير المفتوح؛ حيث لا سقف يحدّه ولا موانع تكبحه؛ أمّا الخارقة فهي بلوغ ما لم يكن

متوقّعًا، والخوارق أعمال غير معجزة، أي إنّها الممكِنة، ولكنّها غير عامّة؛ فهي تحتاج إلى مقدرة عقلية تتجاوز بصاحبها ما يمكن تدبّره إلى ما يمكن بلوغه؛ كونه لم يكن مستحيلًا ولا معجزًا والخارقة تقود أصحابها فكرًا إلى الإبداع الممكّن من معرفة ما كان مستغربا.

ومن ثمّ؛ فالفكرة تحدٍّ تقود إلى العمل المبدع، والعمل المبدع بداية قد يصفه البعض بالمستحيل على الرّغم من تحقّقه مشاهدة وملاحظة؛ فالهبوط على القمر، البعض كذّبه بداية، ولكنّه لم يصمد في تكذيبه؛ لكونه أصبح حقيقة لا تُخفى.

ومن ثمّ؛ فالصّعود إلى القمر يعدّ عملا من أعمال الخوارق التي بإمكان العقل البشري أن يبلغ ما هو أعظم منه، فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المحقّق للخوارق وفقا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولا استغراب، ولا مفاجأة، بل الاستغراب ألا يرتقي عقل الإنسان إلى اقتناص الفكرة الممكّنة من الارتقاء وبلوغ الخوارق.

وهنا أقول:

الجنّة بين أيديكم؛ فاعملوا يا بني آدم من أجلها، فاغزوا الفضاء بكلّ الخوارق التي بإمكانكم العمل عليها والعمل بها؛ فبلوغ الجنّة غير مستحيل، بل المستحيل أن لا تعملوا ارتقاء من أجل بلوغها.

وهنا لا أقول مواعظ، بل لِمَ لا نتعظ، ونتدبّر أمرنا حتى نتمكّن من بلوغ الخوارق ارتقاء؟ ومن يرى غير ذلك فكأنّه لم يُخلق بصيرا، وليس له من الحواس ما يمكّنه من خَلق الخوارق وتجاوزها بخوارق أكثر ارتقاء؛ فمن يغفل عن ذلك

فكأنّه قد غفل عمّا بنته الحواس وما ستبنيه من حضارات؛ فالتذكّر يربط العقل بما أنجزته أيدي النّاس، وبما غفلت عنه؛ ليتدبّر حاضره، ويفكّر في مستقبل يستوجب رسم الخطط الممكّنة من الخوارق في دائرة الممكن.

وعليه:

فالإنسان مؤهّل للارتقاء عقلًا وحسًّا؛ فهو يتذكّر؛ ليتّعظ ويُصلح، ويتدبّر؛ ليبني وينتج، ويفكّر؛ لإيجاد خارقة بها يصنع مستقبلا راقيا، يَرتق الأرض بالسّماء.

ومن أراد أن يكون له شأن فليعمل على تحقيق المكانة قيمًا وفضائلَ، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيمًا وفضائلَ؛ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي أن يكون عليه ارتقاء.

فالارتقاء حركة دؤوبة، يتحقّق عبر التّاريخ بالجهد الرّصين والعمل المتّصل، الذي منه تؤخذ العبر، وتستمدّ المواعظ، وتنقل التجارب النّاجحة شواهد؛ فالارتقاء لا يحدث فجأة؛ فهو مثل الوليد، يولد وهو في حاجة للرّعاية والعناية، ثمّ يكسب قوّة تدفعه إلى تحقيق ما هو أعظم، وهو كالبناء بدايته وضع حجرة على الأرض، ثمّ يصبح صرحا شامخا وكأنّه يريد أن يفتق الأرض بالسّماء ثانية؛ فهكذا هو الارتقاء تطلّعا يجسّد الطّموح، ويمكّن من بناء حضارات أهلها يسودون ثمّ يفنون، وتبقى الحضارة تاريخا متكئا على الارتقاء علمًا وفكرًا وقيمًا وفنًّا وثقافةً وإعمارًا وبناءً.

ولأنّ التَّاريخ البشري مليء بالتّجارب النّاجعة، وكذلك الفاشلة، فهو قد مرّ بنشوء حضارات سادت ثمّ بادت وحلّت محلّها حضارات أخرى؛ ففي تلك الأحقاب سادت حضارة عاد وثمود، ومن بعدها حضارات الغرب، وحضارة الفرس، وحضارة الإسلام والعرب، واليوم حضارات الشّعوب تتداخل لتسود القرية الصّغيرة؛ فهي على الرّغم من تنوّعها، ولكن وكأنّها حضارة أمّة واحدة، إنّها تقدّر الخصوصيّة، وتُمكّن من الاندماج علما ومعرفة، وتقنيةً وإعمارًا، وتؤكّد قيمة الإنسان في ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمْل مسئوليَّاته وبكلّ شفافيّة.

ومع ذلك فالإنسان دائما في حاجة للارتقاء؛ فهو يسعى من أجل حياة أكثر أمنا، وأكثر نعيما، وأكثر عدلا، وأكثر رفاهية ورقيّا؛ فقيمة الإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم تستوجب تقديرًا عاليًا، ورعاية صحية متقدّمة، وتعليمًا يخلّص من أيّ تأزمات تحدث، ونُظم تُمكّن من التمدّد بكلّ حرّية دون أن يحدث أيّ تماسّ مع تمدّد الآخرين بكلّ حرّية.

ولكن هذه لن تتحقّق ما لم يرتقِ الإنسان عن مثيرات الشّهوة، وإغواءات النّفس، ومغريات الحياة الدّنيا (السُّفليّة)، وتفضيلات الأنا على حساب الغير، وألا يتردّد، والخوف ضرورة من أجل مستقبل ناهض وسلامة وأمن يمكّنان من بلوغ الخوارق تحدٍّ للحاضر بما هو أكثر جودة.

ولذلك فالاختلاف لن ينقطع بين النّاس بما أنّ هناك من يرى القيم والفضائل أساس العمل والتقدّم والارتقاء، ومن يراها لا تزيد عن كونها قيودًا ينبغي أن تزال متى ما تعارضت مع المصلحة الخاصّة، ومع وجود الاختلاف فلا

وجود لما يعيق ولادة الخوارق، بل الاختلاف هو المحفّز تحدٍّ ومنافسة على ولادة المزيد من الخوارق تحدّ لكلّ الصّعاب.

ومن ثمّ؛ فالرّغبة في بعض الأحيان تتمركز على (الأنا) أنا ومن بعدي الطّوفان، وهنا تكمن العلّة، وحتى لا تكون الأنانية القاتلة فعلينا بتضافر الجهود والنّهوض معًا حتى نقضي على عوامل الشّد والتخلّف ونرتقي تقدّمًا ونهضة من بعدها نهوض مع أملٍ ناهض.

وحتى لا تكون العلّة نهاية المطاف؛ فينبغي بلوغ الحلّ الذي يحتوي في مضمونه قبول الآخر (هو كما هو)، والعمل معه (من حيث هو)؛ من أجل الارتقاء سويّا إلى مستقبل مأمول؛ فالفرد وإن خُلق فردا فهو لم يُخلق وحيدا؛ ولهذا لا ينبغي أن يفكّر وحيدا، ولا ينبغي أن يعيش وحيدا، بل ينبغي أن يفكّر حتى يعرف كيف يفكّر جماعيا، وأن يعمل مع الآخرين ارتقاء بغاية ما يجب.

ولكي يتمكّن الإنسان من اتخاذ قراره عن وعي؛ فعليه بمعرفة العلاقة التي تربط قوّة قراره بقوّة اتخاذه؛ فقوّة القرار تكمن فيما يحقّقه من فوائد، وما يترتّب عليه من ارتقاء مأمول، وما يحدثه من مفاجآت موجبة، ومن ثم؛ فاتخاذ القرار ارتقاء يُمكِّن من إحداث النُّقلة.

ولأنَّ صُنع الخوارق لم يكن مستحيلا فَلِمَ لا تُصنع باستمرار تحدٍّ للعقل بملكاته العقلية؟ فالعقل دائما هو مَكمن الخوارق؛ فمن بلغ عقله عقلا عن غير توقّع بلغ المعجز إعجازا، ومن بقي في دائرة المتوقّع؛ فلا إمكانيَّة لبلوغ الخوارق التي في النّهاية لا تكون إلّا في دائرة الممكن.

ولكن لكي تصنع الخوارق فهي في حاجة لمناخ مناسب؛ حيث لا قيود على التفكير الإنساني، ولا موانع ولا تخويف من أحدٍ، بل المكتبات مليئة بالمصادر والمراجع والدّوريات العلميّة، والمقرّرات المدرسية والجامعية معدّة على قاعدة كلّ شيء ممكن ولا استغراب، ثمّ إنّها تحرّض المتعلّمين على التحدّي وقهر الصّعاب، وإلى جانب ذلك فالتحفيز يسرّع من إدارة العجلة تجاه التقدّم وإحداث النُّقلة وإيجاد ما لم يكن متوقعًا.

وعليه:

. بلوغ الخوارق مُمكن فلا تستغرب.

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى تبلغ خارقة.

. لا تستسلم للمتوقّع فقط وتغفل عن غير المتوقّع الذي يخرجك من زمن المفاجآت.

. لا تُوقِف تفكيرك عند حدود المألوف؛ فالتوقّف عند حدوده لا يمكّنك من بلوغ الخوارق إضافة معرفيّة.

. لا خارقة إلّا بمقدرة عقلية، فانتبه لنفسك ولما حولك ولما يجب حتى ولو تجاوزت المألوف بما هو موجب.

. الخوارق يتمّ اكتشافها بين الفجأة والانتباه؛ فانتبه واعلم إنَّ السّرحان مضيعة للوقت؛ فلا تعوّد نفسك وعقلك الخوض فيه ضياعا.

. اكتشاف الخوارق أو بلوغها يُمكّن من معرفة قوانينها تاليا، أي: إنّ الخوارق تكتشف أوّلا ثمّ بعد الاكتشاف يتمّ التعرّف على القوانين التي هي عليها.

. معرفة الخوارق تمكّن العقل من التحدّي والبحث عن المزيد.

. معرفة الخوارق تحدٍّ للصّعب وقهره.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المعجز تسليمًا.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المستحيل والوقوف دونه مستحيلًا.

. صُنع الخوارق لا يكون إلّا تجاوزا للقولبة والتمنهج وأساليب الرّتابة المملّة.

. صُنع الخوارق يظهر أو يوجد ما لم يكن ظاهرًا أو موجودًا معرفيًّا.

. صُنع الخوارق صور تُنتج على غير هيئة مسبقة.

. يعدّ استخراج الشيء من الشيء على غير مألوف خارقة عقليّة.

ولهذا ينبغي أن يعوّد الإنسان نفسه على الأخذ بالمنهج العلمي، ويفضّل أن يتجاوزه معرفة بما هو أكثر تيسيرًا حتى وإن كان نتاج وقته، وعليه بقبول الصّعاب والعمل على تحدّيها حتى تُهزم.

صُنع المستقبل معرفة:

المستقبل المعلوم لا يمكن التخطيط ولا وضع التصاميم له إلّا بتوافر معلومات مفيدة بها يتمكّن المخططون الإستراتيجيون من التطلّع إلى ما هو أفضل، فصنع المستقبل هو رسم حياة لعالم الغد القريب الذي سيتحقّق لا محالة

في ضوء المعلومات المتوافرة في الزّمن الحاضر، ومن دون معلومات ومعارف واسعة لا يمكن للمتطلّعين رؤية المستقبل الذي ينبغي أن يكون السباق عليه ومن أجله؛ ولذا إنَّ تطوّر المعلومات والتقنية المصاحبة لها توفّر مناخا جيّدا لاصطياد المعلومات المتوقّع الإفادة منها في هذا الزّمن أو في الزّمن الآتي.

وهنا فالفرق كبير بين التخطيط للمستقبل وصناعة المستقبل؛ فالأولى تعني بالطّبيعة أن يُفكِّر الإنسان في مستقبل حياته ويُخطط لها؛ ولهذا يتعلّم ويعمل ويتزوّج ويصلّي ويصوم ويقوم بكلّ العبادات التي يُؤمنُ بها من أجل المستقبل القريب أو البعيد (في الحياة الدنيا أو في الحياة الآخرة).

أمَّا الثّانية (صناعة المستقبل) فهذه مترتّبة على استقراء الحاضر لمشاكل الغد، والعمل على إيجاد حلول لها قبل أن يأتي المستقبل مكمن المشكلة، كمشكلة المياه، ومشكلة الطّاقة، ومشكلة الحاجة المتطوّرة ومشبعاتها المتجدّدة والمتنوّعة؛ فالعلم اليوم توصّل إلى معرفة كثير من الأمراض، سواء أكانت وراثية أم مستحدثة، ولأجل حياة أفضل توصّل الاكتشاف العلمي إلى معرفة الخارطة الجينية للمورثات الإنسانية، ووصل إلى معرفة علم التناسخ، وهذه كلّها تسهم في صناعة حياة المستقبل الأفضل بتفادي كثير من الأمراض التي تصاحبنا في الزّمن الحاضر، ولم يتمّ القضاء عليها بعد.

فمن خلال معرفة خارطة الجينات الوراثية للإنسان يمكن صناعة مستقبل أفضل لحياة الإنسان؛ وذلك بتخليصه من هموم المورثات الجينيّة السّالبة التي تكمن فيها الأمراض التي تُضعف جهاز المناعة؛ ولذا فالمعرفة تمدّ المتعلِّمين بمعطيات الإبداع والاكتشاف، وهي الزّاد الذي يوّلد الثِّقة في عقول العلماء

والحكماء كما يولّدها في عقول النَّاس على السّواء؛ فهي التي تمكِّن النَّاس من الاطلاع على كنوزها الظّاهرة والباطنة كما تمكّنهم من التبيّن ومن الصّحوة التي تأخذهم من مواطن الغفلة وعدم المبالاة، وتدفع بهم إلى ميادين البحث العلمي الذي به يتمكّنون من صناعة المستقبل المأمول.

وعليه: فإنَّ توسّع المعارف والإلمام بها يؤدّي إلى توسّع ملكات الذّاكرة لدى الإنسان، ويمكّن عقله من الاستنارة التي ترشده إلى الأخذ بما يجب، وترك ما لا يجب دون غفلة؛ ولذا فمن ألمَّ بالمعرفة وفقا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع وتدبّر أمره علما وفكرا مع توظيف الإمكانات المتاحة أحسن توظيف استطاع أن يصنع مستقبله السياسي والاقتصادي والعلمي والصّحي والبنائي والإعماري سواء على المستوى الوطني أم على المستوى العالمي، وفي مقابل ذلك يتأخّر الأفراد والجماعات والمجتمعات إن لم يلمُّوا ما يستطيعون الإلمام به من المعارف الصانعة للمستقبل.

صُنع المستقبل إرادة:

هناك علاقة ترابط قويّة بين المعلومة والقدرة والإرادة؛ ولذلك إذا توافرت المعلومة ولم تتوافر الإرادة الحرّة تظلُّ المعلومة في مراكز حفظها بلا مستخدمين؛ فالإرادة هي الفعل المؤثّر في ملامسة المعلومة التي كلّما توافرت فتحت المجال أمام الملاحظين والمشاهدين والمحللين ليتمكنوا من الإبداع والتألق في ميادين المعرفة الواسعة، وعندما تتوافر الإرادة فبالضّرورة يختفي الإجبار الذي يجعل قيدا وطوقا على العقل البشري؛ فلا يمكّنه من التطلّع إلى معرفة المستقبل وصناعة ما يمكن أن يجعل الحياة فيه أكثر تيسيرا بعد التخلّص من كلّ معطيات الشدّ إلى الوراء وتجاوز المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي إلى أرقى ما يمكن أن يكون

سياسة واقتصادا واجتماعا؛ فالإرادة هي التي تدفع الإنسان إلى أن يعمل ويتحمّل المسئولية تجاه ما يقوم به من عمل، وتولّد لديه روح الاستمرارية بكلِّ حرّية تجاه العمل المستوجب إنجازه، ولذا فإنَّ توافر الإرادة يعني فكّ القيد أو كسره، الذي من بعد فكّه أو كسره يتمكّن الإنسان من صناعة المستقبل المأمول لمواكبة تطوّر الحاجات المستوجبة تطوّرا لمشبعاتها مهما تنوّعت وتعدّدت.

أمّا أولئك الذين لم يُفك القيد عنهم لا يمكن أن يكونوا أناسًا فاعلين في صناعة المستقبل؛ فصناعة المستقبل تستوجب ممارسة الحرّية بكلّ إرادة وبكلّ شفافية؛ فالشّعوب المكبّلة الحرّية تختنق أنفاسها وهي تنزف، والآلام والأوجاع تحوطها من كلِّ جانبٍ من جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعيَّة، ولأجل أن تتغيّر أحوالها فهي في الزّمن الماضي كانت تحتاج لمنقذ (زعيم أو بطل) أمَّا اليوم فالأمر تغيّر.

صُنع المستقبل مقدرة:

إذا توافرت معلومات وتوافرت إرادة حرّة، ولم تتوافر قدرة على العمل والإنتاج والتعلّم فإنَّ ذلك لا يؤدّي إلى الإنجاز؛ فالقدرة هي المولّدة للطّاقة الممَكِّنة من العمل أو أداء الفعل، وإلّا هل يمكن لأحدٍ أن يصنع المستقبل وهو لا يمتلك القدرة حتّى وإن توافرت لديه المعرفة والإرادة؟

عندما يكون الإنسان غير قادر على التفكير وغير قادر على العمل لا يمكن أن يكون منتجا ولا متفكّرا ولا متذكّرا ولا متدبّرا ولا متأمّلًا ولا مبدعًا متطلّعًا لمستقبل أفضل؛ ولهذا فالقدرة هي الضّلع الثّالث لاكتمال المثلث المتساوي الأضلاع، المتكوّن من المعرفة والإرادة والقدرة.

فالقدرة قد تكون ذاتية وقد تتعلّق بالإمكانات؛ فمقدرة الإنسان نفسيًّا وعقليًّا وتعليميًّا وماديًّا وحضاريًّا تعدّ من معطيات امتلاك القوّة؛ ولذا فإن ضعفت إمكانات امتلاك القوّة ضعفت القدرة التي كلّما كانت كان المستقبل المأمول بين يدي من يمتلك القدرة والمعرفة والإرادة.

ولذا فإنَّ القوّة تتمثّل في القدرة على اتّخاذ القرار وعلى تنفيذه ومتابعته عن معرفة وإرادة، وإلّا لن يكون للقوّة معنًي إذا لم تكن قادرة على أن تنفّذ ما تريد على الرغم من الصّعاب التي قد تواجهها.

وعليه: فإنَّ الاختلاف في المعرفة وفي الإرادة والقوّة، لا بدّ أن يؤدّي إلى الصِّراع الذي تكون نتيجته طرفين؛ رابحًا وخاسرًا، أمَّا التماثل بين الأفراد والجماعات في هذه الأبعاد الثلاثة لا يؤدّي إلّا إلى الوحدة والمنافسة من أجل صناعة المستقبل.

ففي أيّام الحرب الباردة كانت ثقافة الصِّراع هي السائدة، وفي هذه الأيّام التوجهات أصبحت في اتجاه الوفاق على المستويات كافة، على مستوى الأفراد والجماعات وعلى مستوى الدّولة ومستوى العالم، ولكن سيكون مخطئٌ من يفكّر في انتهاء ثقافة الصِّدام والصّراع إلى الأبد؛ فالذي سيدوم هو تبادل المنافع بأساليب مُرضية، والعمل على تكاثف الجهود المنتجة، ومع ذلك عندما تشتدّ المنافسة على الحلبة يسقط أحد المنافسين أرضا، والذي يهمّ هنا أنَّ الصِّراع لن يكون هدفا ولا غاية، ومن ثمَّ إذا حدث الصِّراع سيكون القانون العام هو الحَكم بين الأطراف، ويكون الحُكم مرضيا بإرادة؛ وذلك بأسباب المشاركة في صوغ القوانين المحليّة والقانون الدّولي العام، ممّا جعل الجميع يقبل باعتماد الحوار منطقًا

مشتركًا للتّفاهم والتّواصل بين الأطراف ذات العلاقة، وهذا الأسلوب بلا شكّ ديمقراطي؛ حيث لا مغالبة ولا مناصرة بغير حقّ كما كان سائدًا أيّام الحرب الباردة؛ ففي أيام ثقافة الصِّراع والانحياز كان بعض السياسيين يبحثون عن أنصار وأعوان ضدّ الآخر، الذي هو الآخر يبحث عن مجال للامتداد العسكري الذي كان يعتقد بأنّه الوسيلة الوحيدة لتحقيق الأمن السياسي والاقتصادي والاجتماعي، أمّا اليوم بدأ الاتجاه واضحا نحو فكّ الاشتباك بين نقاط الصِّدام والتوترات السّاخنة، وقد بدأ هذا الدّور يتّضح بعد المسئولية التي تحمَّلها جربتشوف رئيس الاتحاد السوفييتي سابقا عندما سمح للبلدان التي كانت تحت سيطرة الاستعمار السوفييتي بأن تتحرّر بإرادة، وترتّب عن التحرّر انسحاب قوّات الصِّراع (الجيوش السوفييتية) من أوروبا الشرقيّة، وسقوط سور برلين الذي كان خطّ موت لمن يحاول تجاوزه، أو حتَّى لمن لمسَه بيده بعفويّة.

ولأنَّ عصر تحرير الإرادات قد بدأ؛ فبدأ التنظير للعولمة يتطوّر من أجل أن تعيش الشّعوب الحرّية التي لن تتحقّق عن إرادة إلّا إذا أزيلت معوِّقاتها التي منها:

. شطب كلمة الاستعمار من قائمة القاموس السياسي، وكذلك شطب الأساليب القامعة للحرّية من إدارة الأمور في الدّاخل والخارج.

. ضمان حقّ الأقليات، وتمكينهم من ممارسة حقوقهم، وأداء واجباتهم، وحمل مسئولياتهم في الوطن الذي هم أحد مكوِّناته الوطنية، ومع أنَّ هذه ميزة وطنيّة مرسّخة لأهمية التنوّع المعرفي والثقافي إلّا أنَّها قد تؤدّي إلى تجزئة الوطن؛ لتكون الحدود فواصل بين الأقليّات، وهذه إن حدثت لا بدّ وأن تؤدّي إلى صدامات.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدكتور عقيل حسين: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (159) مؤلّفا منها: خمس موسوعات.

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركية.

المؤلّفات

1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 . البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 . المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 ـ إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

32 ـ شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

33 ـ يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

34 ـ داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

35 ـ يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

36 ـ أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

37 ـ موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

38 ـ عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

39 ـ محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

40 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 . التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 . ألسنا أمَّة وسطا، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

54 . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 . سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 . خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقدأميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 ـ من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 ـ الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 ـ تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمَّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 . الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 . المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 . الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 . مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 . الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 . تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 . غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 –كيفيّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشرية (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقًا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعيَّة والإنسانية، 2020م.

153 – كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2021م.

155 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2021م.

156 – وسائل التأهُّب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2021م.

157 – طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2021م.

158 – أمحمَّد أميّ، مكتبة القاضي، القاهرة: 2021م.

159 – حلقات صناعة المستقبل، مكتبة القاضي، القاهرة: 2021م.

160 – قواعد صناعة المستقبل، مكتبة القاضي، القاهرة: 2021م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أميّن تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أميّن التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أميّنا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (159) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 ـ الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشرية.

2 ـ طرق البحث الاجتماعي.

3 ـ الفكر والسياسة.

4 ـ الإسلاميّات.

5 ـ الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: Dr-Aqeel.com